الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

بعنوان:

الإشاريات في كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي

مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة ماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص لسانيات عربية

إعداد الطالبين :

- خالد عماري
- شعيب هرويني

إشراف الدكتور :

د. محمد مدور

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د.بن اودينة يوسف	أستاذ	غرداية	رئيسا
د .محمد مدور	دكتور محاضر	غرداية	مشرفا
د .عبد السلام محرز	أستاذ	غرداية	مناقشا

السنة الجامعية :1439هـ / 1440هـ - 2018م / 2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى كل من كان له فضل علي في هذه الحياة

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من أنار درب حياتي و تعلمت على يديه أول خطوتي وكان

سندا لي ولم يجعلني أحتاج شيئا بوجودي أبي الغالي أمد الله في عمره ورعاه برعايته.

إلى نبع الحنان ونبراس الأمان أمي الغالية

إلى من أرشدني إلى الطريق الصحيح لتجاوز عثرات الحياة إخواني و أخواتي.

إلى من وقف معي في مشقة هذا البحث لإتمامه.

إلى كل من زميلاتي

خالد

الإهداء

الى قدوتنا و معلمنا وقائدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الى من سهرا الليالي من أجل راحتي أطال الله في عمرهما أبي

وأمي

الى من تشابكت يدي بأيديهم وشوق عيناي لرؤيتهم دائما

اخوتي وأخواتي

شعيب

الشكر و العرفان

نحمد الله حمدا كثيرا يليق بجلاله وكمال صفاته الذي وفقنا وأعاننا على إتمام هذه المذكرة ونصلي ونسلم على من لا نبي بعده.

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر والعرفان الى كل من ساعدنا وشجعنا ونخص بالذكر:

- الأستاذ المشرف الدكتور محمد مدور وكافة الأساتذة الذين ساندونا في مشوارنا الدراسي

بارك الله فيكم جميعا

ملخص:

يشكل الخطاب الصوفي مدونة خصبة للدراسة التداولية وهذا لما تنطوي عليه لغته من آليات تعبيرية وعناصر خطابية متعددة وقضايا لغوية وسياقية متنوعة، ويعد مبحث الإشاريات أهم المبحث التداولية المناسبة لدراسة هذا النوع من الخطاب لاعتمادها على السياق التداولية وتحديد عناصر الخطاب ،ووفق هذا المنحنى كان عنوان البحث كالآتي "**الإشاريات في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي**".

تمت هذه الدراسة وفق منهج وصفي باستخراج الإشاريات (شخصية، خطابية، اجتماعية، زمانية، مكانية) ،وهذا اتكئ على السياق التداولي والمقامي الوارد فيه الخطاب، ومن أهم الاستنتاجات المتوصل إليها أن العناصر الإشارية بأنواعها اسهمت بشكل كبير في معرفة تداولية الخطاب وتحديد عناصره.

الكلمات المفتاحية:

إشاريات، سياق، إشارة، أبي حيان التوحيدي، خطاب الصوفي.

الملخص

Résumé :

Le discours soufi est un code fertile pour l'étude de la délibération, en raison de son langage de mécanismes expressifs, de divers éléments rhétoriques et de diverses questions linguistiques et contextuelles, l'étude de références étant le sujet de délibération le plus important pour étudier ce type de discours fondé sur le contexte délibératif et la définition des éléments de discours. "Les signes dans les signes divins d'Abou Hayyan al-Tawhidi."

Cette étude reposait sur une approche descriptive de l'extraction de références (personnelle, rhétorique, sociale, temporelle, spatiale), qui dépendait du contexte délibératif et contextuel dans lequel le discours était présenté. Les conclusions les plus importantes sont que les éléments de référence de ces types ont grandement contribué à la connaissance du discours délibératif et de ses éléments.

Les mots clés :

Références, contexte, référence, Abu Hayyan Tawhidi, discours Soufi.

مقدمة

مقدمة :

تعد الإجراءات التداولية من أهم إجراءات اللسانيات الحديثة التي تعنى بدراسة اللغة في حالة استعمالها في المقامات المختلفة ،وهذا لما تحويه من مبادئ ومعايير تؤهلها لاستخراج تداولية العبارة اللغوية ،وبيان أغراض المتكلم ومدى إدراك المخاطب لهذه الأغراض ،وتحليل الأسباب التي تحُول المخاطب دون تلك الأغراض، وكيفية تحقيق عملية تواصلية مثالية.

ولعل من أهم محاور التداولية مبحث الإشاريات،والتي تبنى على علاقات قائمة بين لغة المتكلم والسياق الوارد فيه، وهذا لارتباط العلاقات الإشارية المباشر بالسياق الخطابي وإحالتها المختلفة،وتنقسم الإشاريات إلى إشاريات(شخصية ،وزمانية ،ومكانية، واجتماعية ،وخطابية) والتي تشارك بنسب متفاوتة في تكوين الخطاب، بينما اللغة العربية عموما فهي تتساوى مع الإشاريات اللسانية الغربية بأسماء الإشارة وأسماء الموصولة وظروف الزمان والمكان والضمائر وأنواعها والتي تعتبر روابط داخلية تساعد في انسجام الخطاب وتماسكه وربطه بالسياق المستخدم فيه.

ومن خلال اطلاعنا على عدة خطابات مختلفة تصلح لدراستنا ،وجدنا أن الخطاب الصوفي من أثرى الخطابات اللغوية الذي يتخذ فيه العنصر الإشاري وظائف مختلفة عن وجوده في خطابات أخرى في الإطار التداولي للخطاب، وهذا الوجود له علاقة بين الإشارة الصوفية والعناصر الإشارية في الخطاب الصوفي ،ومن هذا المنطلق ارتأينا أن يكون عملنا على مدونة صوفية وهي "الإشاريات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي" واخترنا عنوان موضوعنا على الشكل الآتي :"الإشاريات في كتاب الإشاريات الإلهية لأبي حيان التوحيدي مقاربة تداولية".

وبعد الاطلاع على جميع رسائل المدونة، وقع عملنا على أهم الأمثلة الموجودة والتي تمتاز بعضها بخصائص إشارية لا وجود لها إلا في الخطاب الصوفي ،والتي يأتي بيانها في الجانب التطبيقي للبحث،وفق هذا المنحنى وجدنا أن الغوص في لجة هذا البحث يكون من خلال طرح الإشكال الاتي :

ماهي الأبعاد التداولية للإشاريات في كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي؟ وإلى أي مدى تتميز الوظائف الإشارية في الخطاب الصوفي عن الخطابات الأخرى؟ وهل يمكن من خلال تتبع العناصر الإشارية في المدونة الكشف عن الآليات التعبيرية في الخطاب الصوفي؟.

وأما عن أسباب اختيار هذا الموضوع فيعود الى:

- قلة الدراسات الإشارية في الخطابات عموما وفي الخطاب الصوفية خصوصا، أما فيما يخص كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي مدونة للبحث ،ففي حدود أطلعنا فهو لم يُدرس من قبل في مبحث الإشاريات،ومن جانب آخر التناسب الدلالي بين عنوان المدونة "الإشارات" وطبيعة البحث "الإشاريات".

- تعدد المخاطبين في المدونة ،ووجود صراع بين ذات المتكلم ونفسه أحيانا ،وانسجام بين المتكلم والآخر في الخطاب أحيانا يؤدي إلى توفر خصائص إشارية جديرة بالدراسة.

- تنوع الإشاريات الزمنية والمكانية ،والشخصية، وما يتضمن الخطاب الصوفي من رموز ومصطلحات ،وحدات لغوية مُميزة يجعلها ميدانا خصبا تتجلى فيه القضايا التداولية.

أما خطة البحث فتتكون من مقدمة و مدخل وفصلين ،يتضمن **المدخل الموسوم ب "مفاهيم اساسية للبحث "**، فتطرقنا فيه إلى مفهوم التداولية لغة واصطلاحا، والخلفية الفلسفية للتداولية، وكذلك المفهوم التداولي والنحوي للإشاريات،كما تطرقنا إلى مفهوم السياق اللغوي والمقامي، وكذلك التعريف اللغوي والاصطلاحي للخطاب، ثم قمنا بتعريف بعض المصطلحات الصوفية الواردة في البحث.

أما **الفصل الأول** المعنون ب **"الإشاريات الشخصية ،والإشاريات الخطابية في المدونة"** فتناولنا في**المبحث الأول**: تعريف المدونة وصاحبها والخطاب الصوفي عنده، وفي **المبحث الثاني**: استخراج الإشاريات الشخصية بأنواعها (الضمائر والنداء) ،بينما **المبحث الثالث**: تعريف والإشاريات الاجتماعية ،وتحليل بعض النماذج من المدونة.

أما **الفصل الثاني** الموسوم ب: "**الإشاريات الزمانية،والإشاريات المكانية**"،فأخذنا في **المبحث الأول** :الإشاريات الزمانية: العناصر الإشارية المبهمة، وغير المبهمة وفي **المبحث الثاني**: الإشاريات المكانية باستخراج الظروف المكانية ،والأسماء المكان وتحليل دلالتها في المدونة

أما **المبحث الثالث** :فتناولنا فيه تعريف الاشاريات الخطابية ،وتحليل أهم النماذج الواردة في المدونة وفي الأخير **خاتمة** نعرض فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

ولطبيعة البحث في الكشف عن تداولية العناصر اللغوية الإشارية في الخطاب ،تم الاعتماد على المنهج الوصفي لأنه الأنسب لهذا النوع من الدراسة في وصف تداولية العناصر اللغوية الإشارية.

وقد استعنا في البحث بجملة من **المصادر والمراجع**:

- استراتيجيات الخطاب ،لعبد الهادي الشهري.
- الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، نادية رمضان النجار.
- التداولية عند العلماء العرب،مسعود صحراوي.
- التداولية أصولها واتجاهاتها، لجواد ختام.

كما استعنا ببعض **المراجع الصوفية** نذكر منها:

- الرسالة القشيرية ،لأبي قاسم عبد الكريم القشيري.
- معجم المصطلحات الصوفي ،عبد المنعم الحفني.
- معجم المصطلحات الصوفية، عبد الرزاق الكاشاني.

وبعض **المعاجم** :كمقاييس اللغة لأحمد بن فارس ،ولسان العرب لأبن منظور ،ومختار الصحاح للرازي ،ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية لمحمد سمير نجيب اللبدي.

كما اعتمدنا في البحث على **دراسات سابقة** تمثلت : في الأفعال الكلامية في سورة الكهف لأمنة لعور ،والإشاريات في سورة البقرة لصليحة بن واكته.

من **الأهداف** التي نرمي إليها من خلال الدراسة هي:

* إبراز الثراء الفكري واللغوي الموجودة في التراث اللغوي العربي، وخاصة المخزون الخطابي الصوفي الذي لم ينل حظه من الاهتمام إلا في الفترة الأخيرة من التحليل اللساني والنقدي، وهذا باستعمال المنهج التداولي ووسائله الحديثة في الكشف عن الظواهر اللغوية المختلفة في النص.

* محاولة الوصول إلى مقصدية المتكلم ،والدلالة المتولدة من الخطاب الصوفي ،من خلال دراسة العناصر الإشارية في الخطاب.

*الجدل القائم حول شخصية التوحيدي في قضية زندقته واتهامه بالانحراف العقدي، كان أحد أهدافنا لهذا الموضوع في تقصي حقيقة هذا الأمر، من خلال توظيفه للعناصر الاشارية في عباراته الصوفية في المدونة .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل الدكتور محمد مدور، وذلك لما قدمه لنا من توجيهه ونصح وتقويم في تعديل هذه المذكرة إلى أن خرجت في صورتها النهائية، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل، الذي نتمنى أن يكون في المستوى المطلوب.... والله الموفق والحمد لله رب العالمين.

الفصل التمهيدي
المفاهيم الأساسية للبحث

فصل تمهيدي :المفاهيم الأساسية للبحث

1/ **تعريف التداولية لغة واصطلاحا**

أ-الخلفية الفلسفية للتداولية.

2/ **تعريف الإشاريات**

أ- لغة

ب- اصطلاحا

ج- تداوليا

3/ **مفهوم السياق وأنواعه**

أ- المقامي

ب- اللغوي

4/**تعريف الخطاب**

أ- لغة

ب- اصطلاحا

ج- الخطاب في الدرس اللساني

5/**تعريف بعض المصطلحات الصوفية في المدونة**

1/ التداولية :

تعد اللسانيات التداولية Linguistique Pragmatique من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، إذ بعدما كانت اللسانيات تقتصر أبحاثها على الجانبين البنيوي والتوليدي، فتهتم بدراسة مستويات اللغة وإجراءاتها الداخلية (جانب بنيوي)، وكذا وصف وتفسير النظام اللغوي ودراسة الملكة اللسانية المتحكمة فيه (جانب توليدي)،في إطار ما يصطلح عليه ب"لسانيات الوضع، جاءت اللسانيات التداولية لتعالج في مقابل ذلك ما يسمى ب"لسانيات الاستعمال" ولعل هذا ما جعلها أكثر دقة وضبطا، حيث تدرس اللغة أثناء استعمالها في المقامات المختلفة، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين.

وتعنى اللسانيات التداولية في سبيل دراستها للغة،بأقطاب العملية التواصلية،فتهتم بالمتكلم ومقاصده، بِعده محركا لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضمانًا لتحقيق التواصل من جهة،ولتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

فالتداولية إذن علم تواصلي جديد يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، ومما يساعد على ذلك أنها مجال رحب يستمد معارفه من مشارب مختلفة، فنجده ينهل من علم الاجتماع وعلم النفس المعرفي،واللسانيات وعلم الاتصال والأنثروبولوجيا،والفلسفة التحليلية . [1]

1.1/ الدلالة اللغوية المعجمية للتداولية :

يرجع مصطلح التداولية في أصله العربي إلى الجذر اللغوي (دول) وله معان مختلفة لا تخرج عن معاني التعاقب والتبدل والتغير والتحول فقد جاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت 538) «دول: دالت له الدولة،ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوهم: فعل الكرة لهم عليه، وعن الحجاج: (إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها) وأديل المؤمنون على

[1]– ينظر، باديس لهويمل ،. التداولية والبلاغة العربية ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، 2011 جامعة محمد خيضر،بسكرة. ص : 155,

المشركين يوم بدر، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد(....) واستدل الأيام: استعطافها(...)، والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم والدهر دول وعقب ونوب(..) وتقول دواليك أي دالت لك الدولة كرة بعد كرة » .[1]

وورد في مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ت (395)في مادة (دول) «الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان،والآخر يدل على ضعف واسترخاء،فأما الأول فقال أهل اللغة: اندال القوم أذا تحولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَولة والدُولة لغتان، ويقال بل الدُولة في المال والدَولة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه،فيتحول من هذا إلى ذلك ومن ذاك إلى هذا » .[2]

وورد مصطلح التداول في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي ،والشاهد على ذلك :

قوله تعالى في سورة البقرة:﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾البقرة آية /188.

ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر:﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰوَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾الحشر آية/7.

وقال أيضا عز وجل:﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾آل عمران آية/140

والملاحظ في هذا المجال أن لفظ "التداولية" ومشتقاته استعمل في هذه الآيات «بمعنى تغير حال القوم من حال الى حال،أو انتقال الملك من قوم إلى قوم، أو التعاقب والتناوب على

---

[1]- الزمخشري جار الله ،أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ،ببيروت،1998, ج1, ص :303.

[2]-أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1989م،المجلد (2) مادة "دول" ص :314.

أمر ما،وكل هذه المعاني نلمس من خلالها عدم الثبوت والاستقرار والتحول كما هو الأمر بالنسبة للغة، حيث تنتقل من المتكلم إلى السامع في سياق ما، يمكن أن يفهم أو يؤول إلى عدة معاني، وبذلك يكون المعنى غير ثابت ومتحول وغير مستقر بين باثه ومتلقيه » [1].

1.2/ المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

« التداولية أو التداوليات أو البراغماتية أو البرجماتية أو الوظيفية أو السياقية(...)دوال متواترة في اللغة العربية في مقابل كلمةpragmaticusاليونانية, المشتقة من Pragma وتعني الحركة أو الفعل Action يبدو أن مصطلح التداولية يظل الأكثر استعمالا وشيوعا بين الباحثين »[2].

« فالتداولية درس جديد وغزير، إلا أنه لا يمتلك حدودا واضحة فقد كانت التداولية في بدايتها تستلهم وجودها من خلال ما يحيط بها من علوم نفسية ،واجتماعية، وفلسفية،وتاريخية، وثقافية ودينية» [3].

ولاتساع حدودها بهذا الشكل، أقر العديد من الدارسين عدم وضوح معالمها، نحو تصريح فرانسوازأرمينكو، هي « درس جديد وغزير إلا أنه لا يملك حدودا(...)تقع التداولية كأكثر الدروس حيوية في مفترق الأبحاث الفلسفية واللسانية. وهي تشغل اهتمام المناطقة والسيميائيين والفلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيون والبلاغيين وعلماء التواصل والسانيين،(...) وبذلك فهي على مستوى التحليل، لا يمكن أن نصنفها في أي من المستويات،ولا تدرس جانبا محددا في اللغة، بل تستوعبها جميعا, وليس لها وحدات تحليل ولا أنماط تجريدية »[4].

---

[1]– آمنة لعور،الأفعال الكلامية في سورة الكهف، دراسة تداولية،مذكرة لنيل درجة ماجستير، اشراف الدكتور زهيرة قروي ،كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة ،2015 ،ص :19

[2]– جواد ختام،التداولية أصولها واتجاهاتها،دار كنوز المعرفة،عمان ،ط (1) ،سنة 2016 ،ص : 13.

[3]–أحمد فهد صالح شاهين،النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط(1)، 2015 ص : 08.

[4]– خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلة في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة،سطيف الجزائر ،ط (2) ،2012، ص : 53.

ويؤكد (فان ديك) تاريخ اهتمام هذا العلم وتداخله مع العلوم الأخرى بقوله:« (براغماتية) هذا العلم الذي بدأ تطوره على نحو صحيح منذ السنوات العشرين الأخيرة له خاصية التداخل مع عدة تخصصات أخرى، وقد حفزته علوم الفلسفة واللغة والأنثروبولوجيا، بل علم النفس والاجتماع أيضا »[1]،وأثناء بحثنا عن مفهوم موحد للتداولية وجدنا أن هناك العديد من تلك التعاريف والمفاهيم التي تختلف من باحث إلى آخر وكل يعرفها من وجهة نظر تخصصه.

ولعل أول صعوبة تصادف التعريف بالتداولية، « تتمثل في الاستقرار على مصطلح قار ليشمل مقولاتها ومجالاتها العديدة, حيث تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي (Pragmatique) فقيل: البراغماتية،التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية، وبين هذه التغيرات في الواقع فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة » [2].

« وهذا التعدد في التعريفات يشي بمدى تطبيق المنهج البراغماتي في شتى مجالات العلوم والمعارف، لذلك نجد لها أصداء في الأدب والعلوم اللغوية والفلسفة والاجتماع(.....) وكل ميدان يطبقها يفسرها من منطلق تجربته الخاصة » [3] .

ومن هذا الطرح السابق عرضه ما يسعنا إلا أن نطرح التساؤل الآتي:ما هي التداولية؟.

لعل أقدم تعريف للتداولية هو ما قدمه تشارلز موريس في تصنيفه لفروع السيمياء،إذ جعلها أحد فروع السيمياء الثلاثة التي عرفها على النحو التالي:

« – **علم النحو (التراكيب)**: دراسة علاقة العلامات فيما بينها.

– **علم الدلالة**: دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها.

– **البراغماتية (التداولية)**: دراسة علاقة العلامات بمفسريها.

---

[1]–المرجع السابق نفسه، ص : 53.

[2]– المرجع نفسه ص : 53.

[3]–احمد فهد صالح شاهين ،النظرية التداولية ،ص : 9.

هذا التعريف الذي قدمه موريس هو الأقدم، واعتمد عليه كل من عرف التداولية بعده، لذا فهو جدير بأن بعد التعريف المؤسس لباقي التعريفات »[1].

التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية فهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية،وقد رصد للتداولية تعريف آخر، فهو أنها تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب ، وتنظر في الوسيمات الخاصة به،قصد تأكيد طابعه التخاطبي، وهو تعريف أتى به أ.م. ديلر(A.M.Diller) و ف.ريكانتي(F.Récanti).

كما تحد التداولية بكونها « دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية, في نفس الوقت وتحد أيضا،كالتالي "هي الدراسة أو التخصص الذي يندرج ضمن اللسانيات, ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل »[2] .

وقد تضافرت جهود المنظرين لرفع الالتماس عن التداولية، فذكرت آن ربول وجاك موشلار أنها يمكن أن تعرف بصفة عامة على أنها دراسة استعمال اللغة في مقابل دراسة النسق اللغوي الذي يدخل بصيغة صريحة في اختصاص اللسانيات.

والتداولية تعني أيضا « دراسة استعمال اللغة في الخطاب، ودراسة الإشارات النوعية التي تثبت وظيفتها الخطابية في اللغة »[3] .

وقد عدد جورج بول جملة من التعريفات للتداولية، حاول من خلالها رسم حدودها وامتدادها. إذ ذكر أن « التداولية تعني بدراسة المعنى كما يعبر عنه المتكلم (أو الكاتب) ويؤوله المستمع (أو القارئ) وبالتبعية فإنها تهتم أكثر بتحليل ما يرمى إليه المتكلمون من ملفوظاتهم، أكثر مما تعني بها. يحتمل أن تعبر عنه الكلمات أو الجمل نفسها، وعليه فإن التداولية دراسة لمقاصد

---

[1]– فضاء ذياب غليم الحسناوي (الأبعاد التداولية عند الأصوليون) مدرسة النجف الحديثة أنموذجا، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2016،ض :30.

[2]– فيليب بلانشيه.، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة ،دار الحوار سورية ،الطبعة 2007 ص :18-19.

[3]– جواد ختام،التداولية أصولها أتجاهاته ، ص : 15-16.

المتكلم »[1]، « ويقتضي هذا الصنف من الدراسة بالضرورة تأويل ما يقصده المتكلمون ضمن سياق محدد، والتأثير الذي يمارسه هذا السياق على ما يقال، لذلك فهي تأخذ بعين الاعتبار كيف ينظم المتكلمون خطابهم، وما يرمون إليه، وانسجام ذلك مع ما يتحدثون عنه، ومكانه وزمانه، وفي أي ظروف،ومن ثم فإن التداولية هي دراسة المقاصد السياقية »[2] .

ويعرفها آن ماري دبير بقوله:« التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب،أما أول من وضع مصطلح التداولية من العرب في مقابل مصطلح البراجماتية فهو الفيلسوف اللغوي طه عبد الرحمان سنة 1970م.

وأوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: دراسة اللغة في الاستعمال، أو في النصوص interaction، لأنه يشير إلى معنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده, ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم، والمخاطب في سياق محدد، مادي، واجتماعي، ولغوي، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما » [3].

فهو يرى أن« التداوليات نظرية استعمالية: حيث أنها تدرس اللغة في استعمال الناطقين لها, ونظرية تخاطبية: حيث أنها تعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء هذا الاستعمال للغة » [4].

ويعرفها مسعود صحراوي: « بانها ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج، من ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة "**التواصل اللغوي وتفسيره**"، وعليه فإن الحديث عن "التداولية" وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها

---

[1]- جواد ختام ، لتداولية أصولها واتجاهاتها ، ص : 17.

[2]- المرجع نفسه ،ص :17.

[3]- أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية، ص : 10.

[4]- طه عبد الرحمان، سؤال اللغة والمنطق، سلسلة رسائل طالبة، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي ،ط (1)، 2010،ص : 07 .

إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية, والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج, والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال »[1].

إن التداولية بكل تعريفاتها ومصطلحاتها ما هي في النهاية إلا دراسة وتحليل لما غضت اللسانيات البنيوية وما جاء بعدها الطرف عنه، من ظروف إنتاج الخطاب والمقام الذي أنتج فيه الخطاب والسياقات المتعددة التي يردفها هذا الخطاب ودراسة وتحليلا للمعنى الذي ظل بشكل أضعف نقطة في الحلقة اللسانية حتى جاءت التداولية وأولته اهتماما بالغا وحاولت كشف الملابسات والتغيرات التي تطرأ عليه وذلك من خلال العملية التواصلية والتفاعلية التي تحدث بين المتكلم وسامعه. محاولة بذلك الوصول إلى المعاني المضمرة وتحليلا للغة المستعملة في السياق الاجتماعي والتركيبي انتهاء إلى مقاصد المتكلمين الحقيقية وتأويلات السامع المتعددة والمتغيرة.

وهي عبارة عن علم جديد في نظرية الحقل المعرفية يستمد أركانه وأسسه من الفلسفة كغيره من النظريات اللسانية التي كانت جلها تتكئ على مرجعيات فلسفية إلى أن صارت نظريات لغوية تعني دراسة اللغة كظاهرة اجتماعية وإنسانية. وهذا لا يلغي الخلفية الفلسفية لكل نظرية لسانية غربية في تعاملها وتحليلها للظواهر اللسانية واللغوية.

1.3/ الخلفية الفلسفية للتداولية:

إن البحث عن جذور التداولية الأولى، فيمكن تلمسها في الاتجاه التحليلي في الفلسفة (الفلسفة التحليلية), فشكلت أفكار فلاسفة التحليل الأرض الخصبة والمناخ المناسب لنمو بذور التداولية في ما بعد على يد فلاسفة أكسفورد: أوستين وسيرلوغرايس.

وجذور عدة ذكرها الباحثون وهي موزعة بين الفلسفة والمنطق وبعض النظريات اللسانية الحديثة منها:

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة ،بيروت، لبنان ،ط (1) 2005،ص 16.

1.3.1/الفلسفة اللغوية:

لتشمل بحوث الرواد فلسفة اللغة الطبيعية والفلسفة التحليلية، مقابل مدرسة اللغة الشكلية وتقوم على دراسة كيفية معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال الإبداع، وتلك هي المنابع التي نشأت فيها التداولية في الواقع, من خلال أعمال الفيلسوف وعالم الرياضيات الألماني (فريج)، ثم الفيلسوف البريطاني (روسل) اللذين طورا كثيرا من قضايا الفلسفة التحليلية, وهي أنتجت فيما بعد الفلسفة الأوستينية في اللغة(....) من خلال تناولها للقضايا التداولية كالإحالة والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية.

ويعد فيتغنشتاين من الفلاسفة الأوائل الذين نظروا في الجانب الاستعمالي للغة, بدءا من أعماله الأولى في المنطق والفلسفة(...) وعرض في ذلك فكرة (ألعاب اللغة), وهو تعبير "في معناه الأولي يوضح كم هو مهم أن تأخذ بعين الاعتبار سياق الملفوظية إذا تعلق الأمر بفهم دلالة التعبير اللغوي أو شرحه" من خلال كتابه (بحث في الفلسفة والمنطق 1921)، الذي كشف فيه مفهوم التلاعب بالكلام وأصبح فيما بعد أحد دعائم ظهور التداولية ذلك أنه مرتبط بالمعنى الفعلي الذي منحه للملفوظات فهو قائم إذا على ممارسة التأويل من خلال الأداء الفعلي للغة. وقد ختمه بالعبارة "كل ما نستطيع أن نقوله, يجب أن يبقى في طي الكتمان", وخلاصة مفهوم (التلاعب بالكلام) و (ألعاب اللغة), أن الأفعال التي نتلفظها ترتبط بأشكال الحياة والممارسات التي نحيلها، أي أنه ينحصر فيما يباح للمتكلمين في إطار العلاقة بينهم وبين عباراتهم, وينتج في "اختيارات مباحة داخل تنظيم الخطاب، كونه مجموعة منظمة من وجهات النظر والممارسات والمصالح [1].

ويدين الدرس التداولي كثيرا إلى بيرس وهو من الأوائل الذين اهتموا بدراسة العلامة انطلاقا من مفاهيمهما الفلسفية, وبعدها أساس النشاط السيميائي، حيث أضحت عنده أوسع من مجالها اللغوي, إلى حد أن الإنسان حسب قوله علامة وحين نفكر فنحن علامة ولذلك عدت الأسس السيميائية التي ابتكرها أسسا فلسفية تأمينية إضافة إلى جهود أخرى تلت نشر كتاب أوستين، تتلخص فيما قدمه (سورل) بعده أحد فلاسفة اللغة المؤسسين للدرس التداولي لاسيما فيما يتعلق بإعادة تصنيفه للأفعال الكلامية, هذا ويمكن أن تدمج في بحوث الفلسفة

[1]– ينظر :خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص 41, 42.

اللغوية،كما قدمته المناطقة نحو أعمال: (فريج) (كرناب) و(جوردن) و(لا كوف)(.....)،فقد نشأت التداولية في ظل هذه المكاسب المعرفية اللسانية والفلسفية والبلاغية، مما يسمها بالتنوع والثراء، لم تكن تستقر إلا بعد في العقد السابع من القرن العشرين بعد الأعمال المذكورة لأوستين وسورلوغرايس ومبدأ التعاون(...)وتبقى مدينة لهذه التيارات المختلفة, وتتوسل بها في معالجة اللغة بعدها أهم ما يميز واقع الإنسان[1].

2/ الاشاريات:

2.1/ لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (شور): يقول: « أشرا إليه باليد: أومأ وأشار عليه بالرأي، وأشار يشير إذا ما وجه الرأي(....) الليث: المشورة مفعلة اشتق من الإشارة ».[2]

ووردت في أساس البلاغة للزمخشري« "شور" وأومأ إليه بالمشيرة وهي السبابة »[3]،وكذلك وردت بمعنى أومأ[4]في مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي.

وجاء في قوله تعالى:﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾سورة مريم 29.

وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن إذا أشار« أشار بكفيه كلها »[5]،والإشارة هنا إشارة جسمية باليد قد يرافقها عناصر إشارة معينة فالإشارة في الأصل هو الإيماء بالحركة دون اللفظ فهو وسيلة للتعبير تكاد توازي التعبير باللفظ.

---

[1]—ينظر، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص :32.

[2]– ابن منظور، لسان العرب،,دار صادر، بيروت، م 4،ص :437.

[3]– الزمخشري، أساس البلاغة، دار كتب علمية ،بيروت، ط 1998،1م، ج1،ص : 525.

[4]– ينظر : الرازي ،مختار الصحاح ،تخريج الدكتور مصطفى ديب البغا، دار الهدى الجزائر ،ط 1990،4، ص :27.

[5]– ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود محمد الطنابي،طاهر أحمد الزاوي، ط1، 1963، ج2، ص : 518.

2.2/ التعريف النحوي:

ويتمثل في أسماء الإشارة وهي عناصر لغوية معرفة لا تحوي معنى في ذاتها « فاسم الإشارة هو الاسم المبهم الموضوع المشار إليه إشارة حسية بأحد الأعضاء وهو أحد المعارف السبعة التي ذكرها النحاة» [1].

جمعها بن مالك في ألفيته:

بذا لمفردٍ مذكّر أشر*** بذي وذه تا على الأنثى اقتصر.

وذان تان للمثنّى المرتفع*** وفي سواه ذين تين اذكر تطع

وبأولى أشر لجمعٍ مطلقاً *** والمدّ أولى ولدى البعد انطقا

بالكاف حرفاً دون لامٍ أو معه*** واللام إن قدّمت هاممتنعة

وبهنا أو ههنا أشر إلى*** داني المكان وبه الكاف صلا

في البعد أو بثمّ فه أو هنّا*** أو بهنالك انطقن أو هنّا

2.3/ التعريف التداولي:

« وهي عنصر من عناصر التداولية يقصد بها كل ما يشير إلى الذات أو موقع أو زمن » [2].

عرفها جورج بول: « تسمى التعابير التأشيرية أيضا الاشاريات indexical وهي أول الصيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي Person dixie (أنا, أنت) أو إلى مكان من خلال(....)هنا، هناك أو إلى زمان من خلال الآن، آنذاك»[3].

---

[1]–محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ، دار الفرقان،, ط 1، 1985،ص : 20.

[2]– نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، ط 1، 2012،ص : 87.

[3]– جورج بول ،التداولية ، ترجمة د. قصي العتابي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ص :27.

ومن هذا فإن أي عملية تلفظية« تحدث من ذات بسمات معينة وفي مكان وزمن معينين،هما مكان التلفظ ولحظته إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات" وهي الأنا والهنا والآن »[1].

« فالانا هي جميع الضمائر (للمتكلم والمخاطبوالهنا في جميع أسماء الإشارة المعروفة وظروف المكانوالآن هي ظروف الزمان التي يمكن أن تكون بارزة أو مضمرة»[2]

ومن هنا يتضح أن الاشاريات تنقسم إلى:

– **إشاريات شخصية:** وهي العناصر اللغوية الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب ويدخل أيضا النداء.

– **إشاريات زمانية:** وهي العناصر اللغوية التي تدل على زمان التكلم.

– **إشاريات مكانية:** وهي العناصر اللغوية التي تدل على المكان الذي تم فيه الخطاب.

إضافة إلى **الإشاريات الاجتماعية** و**التخاطبية**،والتي سوف يتم بيانها خلال المذكرة.

3/ السياق:

يعد السياق محط تركيز للاشاريات باعتباره مفسرا للعناصر الإشارية ،إذ لا تتحدد معانيها إلا بالرجوع إلى السياق،فتحديد هذه العناصر من قبل الباحث لابد وأن يكون لديه تصور للسياق الذي وردت فيه هذه العناصر اللغوية.

3.1/مفهوم السياق:

3.1.1/السياق اللغوي:

« يعرف على أنه تجسيد لتلك التتابعات اللغوية في شكل الخطاب من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية وما بينهما من ترتيب وعلاقات تركيبة »[3]،يتضح من هذا التعريف أن العلاقات

---

[1]–عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة، بنغازي ليبيا، ط 1،2004،ص : 81.

[2]– نادية رمضان النجار ،لتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي ،ص : 88.

[3]– عبد الهادي شهري، استراتيجيات الخطاب، ص 40.

الموجودة داخل الخطاب تحدد لنا دلالة العناصر اللغوية أو النص ككل وهذا وفق المستويات اللغوية التي تساهم في الربط بين الوحدات التي نصل من خلالها إلى المعنى المراد.

3.1.2/ السياق المقامي:

قد لا يكون السياق اللغوي في الوصول إلى المعنى المراد للجملة أو الخطاب كافيا إلا بعد مراعاة البيئة المحيطة بالخطاب والسياق المقامي للخطاب لأن «السياق المقامي يوفر جزئيا،بعض العوامل أو المحددات التي تساهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية »[1].

فالمقام قد « يساعد على تحديد عدد من المعاني، فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنها ستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق والتي لم تشر إليها تلك الصيغة والسياق (بدوره) ستبعد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق » [2] .

إذن فمفهوم السياق اللغوي يرتبط بالجانب الصوري للخطاب والذي يتحدد المعنى فيه من خلال الوحدات الصوتية والقواعد الصرفية والنحوية وعلاقاتها تركيبة ودلالة القائمة بين الوحدات، أما مفهوم السياق المقامي فيرتبط بما هو خارج اللغة من الظروف المحيطة بالخطاب والذي يساهم أيضا في تحديد المعنى.

4/ تعريف الخطاب لغة واصطلاحا:

4.1/ لغة:

ورد لفظ الخطاب في المعاجم العربية بعدة معان. فقد جاء في معجم مقاييس اللغة:

«(خطب) الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخطبة من ذلك. وفي النكاح الطلب أن يزوج، الخطبة الكلام و المخطوب به(.....)والخطب: الأمر يقع, وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة »[3].

---

[1]– المرجع السابق نفسه ،ص :43.

[2]–جورج بولج.ب.براون، تحليل الخطاب، ترجمة د.محمدل طفي،منير التريكي، جامعة الملك سعود،1997، ص : 47.

[3]– أحمد بن فارس. مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون ،المجلد (1) مادة "خطب" ص : 198.

وجاء في المعجم الوسيط مادة "خطب"« : (الخطاب): الكلام وفي التنزيل العزيز: "وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب" وفصل الخطاب أيضا: الحكم بالبينة، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بأما بعد، أو أن يفصل بين الحق والباطل، أهم خطاب لا يكون فيه اختصار مخل ولا اسهاب ممل(....) والخطاب المفتوح: خطاب يوجه إلى بعض أولي الأمر علانية (وهي كلمة محدثة)» [1].

وقد ورد مصطلح الخطاب في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ النبأ /37.

وقال أيضا ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ ص/23.

وقال الراغب:« الخطب والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام » [2].

4.2/الخطاب اصطلاحا:

«كلام موجه إلى متلق بقصد التأثر والإقناع، أو المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال مشافهة أو كتابة للتأثير والاقناع ولتحقيق مقاصد اتصالية، ويماثله في الاصطلاح الغربي " Discours, Discourse "، ويعني: حديث،وخطاب موجه، ومحاضرة، ومقالة، ورسالة » [3].

ويعرف أيضا بأنه:« قول يسعى إلى تغطية المجال الذي يتعرض له بصفة كلية، لا تسمح للمتلقي بأن يعارضه في جانب ما »[4].

---

[1]- إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالمي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية،الطبعة (4) 2004، ص : 243 .

[2]- الراغب الأصفهاني،مفردات في غريب القرآن تحقيق،مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى ج (1) مادة : خطب ،ص :300.

[3]- محمود عكاشة، تحليل النص "دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي" مكتبة الرشد،الطبعة (1)،ص :12.

[4]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: جدار للكتاب العالمي. عمان الأردن الطبعة (1) سنة 2009, ص 115.

فمصطلح الخطاب إذن متعدد المعاني،فهو وحدة تواصلية تبليغية ناتجة عن مخاطب معين موجهة إلى مخاطب معين في سياق معين درس ضمن ما يسمى بلسانيات الخطاب، فهو على رأي ليتش وزميله شورت:« تواصل لساني ينظر إليه بوصفه إجراء بين المتكلم والمخاطب، أي فاعلية تواصلية يتحدد شكلها بوساطة غاية اجتماعية، والخطاب يتنوع بتنوع الطرق الذي يتخذها المتكلمون أو الكتاب،وذلك بحسب مواقف اجتماعية وثقافية محددة فتنتج بذلك أنواع كثيرة من الخطابات، مثل الخطاب الديني والخطاب العلمي والخطاب السياسي والخطاب البيداغوجي » [1].

4.3/الخطاب في الدرس اللساني:

يعرف الخطاب من وجهة نظر لسانية ولا سيما منها الغربية التي تجعل مصطلح الخطاب مستقلا تارة وتجعله مرادفا للمصطلح النص تارة أخرى لكن من يدقق، في كل المفاهيم التي تطرقت لكلا المصطلحين يجد فروقا دقيقة وجوهرية لا ينتبه لها إلا متخصصون وفارق بحثيات تحليل الخطاب.

أ. تعريف اميل بنفنستI.Benveniste:

عرف الخطاب بقوله: « هو كل ما يفترض متكلما ومستمعا تكون لدى نية التأثير في الثاني بصورة مابتأسيس منظور بنفنست من خلال رؤيته للغة بوصفها نظاما مجردا أو طاقة مخزونة في ذهن الإنسان وهي لا تتحول إلى كلام حقيقي ولا إلى نص أو خطاب إلا من خلال عملية التلفظ» [2].

ب. تعريف غريماس J.Griemas:

يعطي غريماس معاني أخرى للخطاب لما يجعل منه مرادفا للنص مستندا في ذلك إلى أن بعض اللغات الأوروبية لا تتوفر على لفظ يقابل لفظي (discours)الفرنسية و (discoure) الإنجليزية.

---

[1]- المرجع السابق نفسه ،ص :15.

[2]- نوال بومعزة، محاضرات في تحليل الخطاب، مطبوعة مقدمة لطلبة السنة الثانية (LMD)،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،2013/2012، ص : 03.

وليشير إلى أن الخطاب والنص تستعملان للدلالة على ممارسات خطابية غير لغوية كالأفلام والطقوس والقصص المرسومة[1].

ج. تعريف هاريس Haris للخطاب:

سعى هاريس إلى الانتقال من تحليل الخطاب في كتاب ألفه عام 1952م بعنوان "تحليل الخطاب"،« فعرفه بأنه مجموعة من الجمل لها معنى، وبالرغم من محاولته هذه، إلا أن هاريس ظل متقيدا بالنموذج اللغوي، فدراسته تندرج في إطار اللسانيات البنيوية التوزيعية التي تعد الجملة وحدتها الأساسية في التحليل » [2].

5/مصطلحات صوفية:

بما أن الدراسة في بحثنا كانت منوطة بمدونة صوفية كان لازما حل بعض المصطلحات الصوفية لفهم سياق الأمثلة المختارة للدراسة لذلك قمنا بشرح بعض المصطلحات الصوفية التي صادفتنا خلال البحث وهي على النحو التالي:

- **الحال:**« هو عبارة عن أمر يزمن حضرة الحق بصورة قهرية أو جمالية يكيف العبد بصورة ما هو منطبق عليه » [3].
- **إشارة:**« الأخبار من غير الاستعانة إلى التعبير باللسان، وقيل ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه، وتكون مع القرب ومع حضور الغيب، وتكون مع البعد » [4].
- **أنا:**« قول القائل أنا بلا أنا، ونحن بلا نحن يعني بذلك تخليه من أفعاله[5]. »
- **التجلي:**« إشراف أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه، وقيل ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب » [6].

---

[1]– المرجع السابق نفسه ،ص : 04.

[2]– المرجع نفسه، ص :04.

[3]– أيمن حمدي ،قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م، ص :54.

[4]–عبد المنعم الحفني، معجم المصطلحات الصوفية، ص : 16.

[5]– المرجع نفسه. ص : 25.

[6]– المرجع نفسه. ص :42.

- **التصوف**:« هو امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى – أي الله– لا من حيث ترضى» [1].
- **الشيخ**:« هو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلاهية نظرا عينيا وتحقيقا يقيني » [2].
- **الفناء**:« سقوط الأوصاف المذمومة.
- **البقاء**: قيام الأوصاف المحمودية »[3].
- **المشاهدة**:« وهي حضور الحق من غير بقاء تهمة أو شبه» [4].
- **سكر**:« دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة » [5].
- **سلوك**:« تهذيب الأخلاق ليستعد العبد للوصول » [6].

- **التوبة**:« وحقيقة التوبة في لغة العرب: الرجوع فالتوبة الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمد فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "الندم توبة"» [7].
- **الذكر**:« على ضربين: ذكر اللسان وذكر القلب, فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب, فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه, فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه »[8].
- **الطريقة**:« طريق موصل إلى الله تعالى. كما أن الشريعة طريق موصل إلى الجنة. وهي أخص من الشريعة لاشتمالها على أحكام الشريعة من الأعمال الصالحة (...) وعلى

---

[1]– أيمن حمدي ،قاموس المصطلحات الصوفية ، ص : 50.

[2]– أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، ص :74.

[3]–أبي القاسم عبد الكريم القشيري،الرسالة القشيرية، دار الاحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1419هـ 1998م، ص : 129.

[4]– المصدر نفسه، ص 139.

[5]– أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية،ص 131.

[6]– المرجع نفسه, ص 133.

[7]– الرسالة القشيرية لأبي قاسم القشيري, ص 156-157.

[8]– الرسالة القشيرية لأبي قاسم القشيري, ص 295.

أحكام خاصة من الأعمال القلبية والرياضات والعقائد المختصة بالسالكين إلى الله تعال » [1].

- **ذوق:** «نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره » [2].
- **قطب:** « عبارة عن رجل واحد هو موضوع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان. ويسمى بالغوث أيضا باعتبار التجاء الملهوف إليه » [3].

[1]- معجم المصطلحات الصوفية, د. عبد المنعم الحفني, ص 168.

[2]- المرجع نفسه, ص 104.

[3]- المرجع نفسه, ص 217.

الفصل الأول

الفصل الأول:الإشاريات الشخصية والإشاريات الاجتماعية في المدونة

1/التعريف بصاحب المدونة

2/هيكل الكتاب

3/الخطاب الصوفي عند التوحيدي

4/الإشاريات الشخصية في المدونة

1)- الضمائر

أ- ضمائر المتكلم

ب- ضمائر المخاطب

ج- ضمائر الغائب

2) النداء

5/الإشاريات الاجتماعية في المدونة

1/ التعريف بصاحب المدونة:

هو « علي بن محمد بن العباس أبو الحيان التوحيدي: شيرازي الأصل وقيل نيسابوري »[1]،سمي بالتوحيدي« قيل للتوحيد وهو نوع من التمر كان يبيعه أبوه بالعراق(...) وقيل إن التوحيدي نسبة للمعتزلة لأنهم يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد » [2].

وصفه ياقوت الحموي« صوفي السمت والهيئة(...)شيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة(...) سخيف اللسان قليل الرضى عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شأنه والثلب دكانه وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة » [3].

أما أسلوب التوحيدي في كتابته فقد كان ،« جاحظيا يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه » [4]له مصنفات كثيرة منها:« في تصوف الحكماء وزهاء الفلاسفة, وكتاب سماه "البصائر والذخائر" ،وكتاب "الصديق والصداقة، " مجلد ،وكتاب "المقاس" ،وكتاب "مثالب الوزيرين" يعني ابن العميد ،وابن عباد وغير ذلك» [5].

كان أبو حيان التوحيدي محل خلاف في فكره وعقيدته ،فمنهم من مدحه مثل ياقوت الحموي، ونجد أيضا أن "السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي (767-771هـ) (1367-1370م) الذي تحدث عن التوحيدي، وقد ترجم له في طبقات الشافعية، فقال قول الباحث في القضية الخلافية« ولم يثبت عندي الآن من حال أبي حيان ما يوجب الوقيعة فيه, ووقعت على كثير من كلامه فلم أجد فيه إلا ما يدل على أنه كان قوي النفس مزدريامن أهل عصره ولا يوجب هذا القدر أن ينال منه هذاالنيل » [6].

---

[1]- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1993 ،ج (4) ص : 1923.

[2]-محمد كرد علي ،أمراء البيان،مكتبة الثقافة العربية، بور سعيد، ط1، 2012 ص :483.

[3]-ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ج 5،ص : 1925.

[4]- المصدر نفسه ،ص : 1924.

[5]الذهبي ،سير أعلام النبلاء ،تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوس، دارالرسالة،(د،ط) ، ج 17 ص :120-121.

[6]-محمد عمار ،أبو حيان التوحيدي ،بين الزندقة والإبداع،برج النهضة، مارس 1997،ص 7، نقل عن طبقات الشفعية ،ج5، ص : 287.

أما من ذمه ووقع فيه فمنهم الذهبي في سير أعلام النبلاء فوصفه« بالضال الملحد » [1]ونقل قول أبو الفرج بن الجوز« زنادقة الإسلام ثلاثة ابن الراوندي،وأبو حيان التوحيدي وأبوز العلاء المعري وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا وهو مجمجم ولم يصرح » [2].

اختلف في ولادة أبي حيان ووفاته فمنهم من قال أنه: ولد على الغالب في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع أو في أوائل العقد الثالث ونشأ في بغداد وعمر لأنه مات رأس الخمسمائة أو بعدها بقليل وقيل مات بشيراز سنة (414)[3] وقيل توفي عام (400هـ-1009م)[4]

2/هيكل الكتاب :

يمثل كتاب "الإشارات الإلهية" لأبي حيان التوحيدي حلقة مميزة في السلسة الذهنية الإبداعية للأدب العربي عبر العصور. فهو أحد قمم الإبداع النثري العربي الذي تخطى فيه التوحيدي الأساليب التقليدية ليبدع لنا أسلوبه الخاص: الذي وحد فيه بين ظاهر النثر وباطنه وبين الأساليب التي تعارف عليها القوم. والمعاني التي لم يطرحها أحد بالطريقة التي يألفها الكافة[5].

وتمدنا " الإشارات" أيضا بمفهوم واضح للتصوف حسبما كان يؤمن به أبو حيان. فقد عرف التصوف بأنه "إشارات إلهية وعبارات وهمية".

والإشارة إلى علم التصوف بالإشارات والعبارات، كان أمرا معروفا متداولا لدى الصوفية في عصر أبي حيان وقبله. فالصوفي –إلى جانب كونه يحيا حياة نقية عن الأدران لا يستسلم فيها للدنيا إنما يعمل لكي ينال الآخرة- هو الإنسان الذي يشغل العبارة من أجل الإشارة إلى الحقيقة الإلهية، فيهدي الناس بذلك إلى الحق[6].

---

[1]-الذهبي، سير أعلام النبلاء ،ج 27، ص : 119.

[2]- المصدر نفسه، ص : 120.

[3]-محمد كرد على، أمراء البيان ، ص : 484.

[4]- محمد عمار، أبو حيان التوحيدي، بين الزندقة والإبداع، برج النهضة، مارس 1997، ص : 04.

[5]- أيمن علي عبد اللطيف أبو زيد، عبقرية النثر العربي "دراسة لغوية تحليلية في كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي في ضوء علم اللغة الحديث", العلم والايمان للنشر والتوزيع، ط (1)، 2008، ص : 41.

[6]- التوحيدي أبو حيان ، الاشارات الإلهية، تحقيق الدكتورة: وداد القاضي، دار الثقافة ،بيروت، ط (2)، 1982، ص :21.

2.1/زمن كتابته:

ليس هناك ما يدل دلالة واضحة على زمن كتابة (كتاب الإشارات) وبما أن طبعة بناء هذا الكتاب قائمة على شكل رسائل، فإن الدارس قد يقدر أنه كتب في مراحل متفاوتة، غير أن الشيء المؤكد أن بعض الرسائل كتبت بعد سنة 381هـ، إذ يذكر في إحداها أنه نطق بهذه الإشارات بعد أن تجاوز السبعين.

وتستند إلى قول أبي حيان نفسه "أنا نطقت بهذه الألغاز بعد سبعين سنة" أي أنه ألفه في فترة متأخرة من عمره[1].

2.2/بناء الكتاب:

يقع كتاب الإشارات –بحسب قول ياقوت– في جزئيين لم يصلنا منهما سوى الأول وقسم من الثاني، أي أن ما وصل من الكتاب كله يبلغ 54 رسالة وملخصات من عشرة أخرى. وفي فواتح بعضها ما يفيد أن الرسالة موجهة إلى شخص معين، وفي واحدة منها يصرح المؤلف أنه يجيب على كتاب كان وصل إليه من أحد الناس، وفي أخرى ما يدل على أنها رد على سؤال كان قد سئله[2].

وتعتمد الرسائل جميعها بناء متشابها في التركيب الأصلي يقوم على ركنين أساسيين هما: المناجاة (أو الدعاء) ومخاطبة شخص ما. والرسالة غالبا ما تبدأ بالدعاء وتنتهي بالدعاء، وتتراوح فيما بين ذلك بين الخطاب والدعاء وأغراض أخرى، أبرزها شكوى الحال والزمان، وفي حوالي ثلثي الأحوال تنتهي بعبارة "يا ذا الجلال والإكرام". تزخر الرسائل بالنصائح إلى ذلك المخاطب لحمله على ترك الدنيا والأعراض عما فيها من شهوات ورغبات، والأخذ بالفضائل التي يحث عليها الدين وبتطلبها الخلق القويم، والتوجه إلى الله في كل حين حتى ينال الرضى الإلهي فيسعد في الدنيا والآخرة(....)وبني أبو حيان خطابه لهذا المخاطب على فقرات متناثرة دونما نظام معين ضمن الرسالة الواحدة، وأكثر ما يبدأ تلك الفقرات بعبارة المناداة (يا هذا)، وفي أحيان قليلة يناديه ب (أيها الإنسان) أو بعبارة (يا أخي) وقد ناداه مرة بعبارة (ياسيدي) إذ هذه

---

[1]– المصدر نفسه ،ص : 09.

[2]– المصدر نفسه، ص :10-11-12.

المناداة أليق بالقطب الصوفي. وتتفاوت صور النداء بتفاوت الموقف النفسي بين المؤلف وصاحبه، ففي حال التعاطف يقول للمخاطب "حبيبي" وفي موطن التأمل والرجاء يناديه "أيها الأخ الراغب في الخير والصاحب المجانب للشر[1]".

وانقسمت مستويات الخطاب لدى التوحيدي ثلاثة أقسام: التوجه إلى الله والتوجه إلى الذات والتوجه إلى الآخر سواء أكان هذا "الآخر" هو الإنسان الأدنى بوصفه عاصيا متطلعا للدنيا وأغراضها، أم كان هذا الآخر هو الإنسان الأعلى الذي يلتمس منه الحكمة[2].

– يحتوي كتب الإشارات الإلهية قدرا من الشواهد القرآنية ،والأبيات الشعرية المنسوبة في الأغلب لأصحابها. والمصطلحات الصوفية التي انسابت مع العبارة لتؤلف هذا النص الذي يعرف المستغلون باللغة الصوفية كم هي بديعية الصياغة دافئة الإيقاع[3].

اعتمدنا في هذا البحث على النسخة التي حققتها الدكتورة وداد القاضي جويلية 1973. ،وذلك لجودة التحقيق ولوجود لتلك الرسائل الزائدة آخر الكتاب ،التي لم ترد في التحقيق الأول للكتاب لعبد الرحمان البدوي.

وتحوي طبعة تحقيق وداد القاضي أربعا وخمسين رسالة تعد الجزء الأول ،ثم ملخصا من الجزء الثاني الذي أشار إليه ياقوت الحموي بضم 10 رسائل وجاءت لنسخها في 480 صفحة.

3/الخطاب الصوفي عند أبي حيان التوحيدي:

يختلف الخطاب الصوفي عن باقي أنواع الخطابات، بما يمتلكه من خصائص ورموز ومصطلحات خاصة يجسدها الكاتب الصوفي في خطابه على حسب حالته الروحية،وما عاينه من ذوق وشطح في حالة روحانية معينة.

---

[1]– التوحيدي أبو حيان، الإشارات الإلهية، تحقيق ودارد القاضي، ص :12-13.

[2]– أميرة غيث محمد، الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي، دراسة لغوية، رسالة دكتوراه , بإشراف أحمد يوسف، علاء عبد المجيد فضل ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب،جامعة الزقازيق،2002م، ص : 4.

[3]– أيمن علي عبد اللطيف أبو زيد، عبقرية النثر العربي "دراسة لغوية تحليلية في كتاب الارشادات" ، ص : 44.

تمثل هذه المصطلحات والرموز الصوفية مفاتيحا يستعملها الصوفي للتعبير عن حاله وما نازله من تجليات إلاهية، بحيث لا يفهمها إلا من كان في نفس المقام الذي كان فيه هو يقول السيوطي جلال الدين ناقلا عن بن عربي محي الدين أنه قال« نحن قوم يحرم النظر في كتبنا وذلك أن الصوفية تواطؤوا على ألفاظ اصطلحوا عليها وأرادوا بها معاني غير المعاني المتعارفة منها فمن جمل ألفاظهم على معانيها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر كفر وكفرهم » [1]، فهذه الألفاظ تكون متعارفة بين أصحاب هذا الفن بحيث يجهلها غيرهم إلا إذا وصل إلى المعاني الذوقية التي عندهم وفي هذا قال أبو مدين الغوث:

«إذا اهتزت الأرواح شوقا إلى اللقا * نعم ترقص الأشباح يا جاهل المعنى » [2].

وكذلك تمتاز العملية التواصلية في الخطاب الصوفي بطابع مختلف نوعا ما عن العمليات التواصلية في الخطابات الأخرى ،فيحصل أحيانا من قبل الكاتب الصوفي ترميزٌ لبعض العناصر التواصلية فيطلق على المخاطب اسم ليلى أو سلمى إلى غير ذلك من الرمزيات،وكذلك تختلف العناصر التواصلية في الخطاب الصوفي، من حين إلى آخر فمرة يكون المخاطب والمخاطب هو نفسه، فيكون الخطاب بينه وبين نفسه كقول :"**فلا عياني يخبرك عني**"، وتارة يكون المخاطب والمخاطب واحدا، ويتجلى هذا النوع من الخطابات عند الحلاج وابن عربي واضرابهم، بينما أبي الحيان التوحيدي في خطابه فقد سلك مسلك الجنيد ،وأبي الحارث المحاسبي ،وعمر بن عثمان المكي الذين يمثلون التصوف السني البعيد عن الشطح والقائم على الكتاب ،والسنة« فنجده تأثر بأسلوب عمر وبن عثمان المكي (291) في اعتراض الخطاب بالدعاء للمخاطب والمتكلم، وبأسلوب الجنيد بن محمد (297) الذي يكثر في خطابه الترادف والتقابل والتفريع والسجع وإدخال المناجاة وسط الخطاب وافتراض وجود مخاطب يشار إليه باسم معين،أما الإغراق في التصوف حتى ادعاء الاتحاد مع الله فهذا ما لم يكن أبو حيان ليرضى به » [3].

---

[1]–جلال الدين السوطي، تنبيه الغبي في تنزيه ابن العربي، عبد الرحمن الوكيل،وقفية الأمين غازي للفكر القرآني، معهد الثقافة، جامعة طوكيو ، اليابان،ص : 03 .

[2]– عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث،دار المعارف القاهرة، ص : 120.

[3]– التوحيدي، الإشارات الإلهية،ص : 19-20-22.

كما نجد أبا حيان التوحيدي قد وظف عبارة في كتابه هذا ما يدل على صراع بينه وبين ذاته، وطالبا من الله أن يخلصه من هواها مستعملا إشاريات شخصية مثل قوله:« **جد علينا بنا، واهدنا إلينا وأوضحنا لنا**» [1]، وهي عبارة متداولة عند الصوفية،ووظف أنواع مختلفة من الإشارة وضمائر المنفصلة ،والتطابق في الضمائر،والتي سيستوعبها الجانب التطبيقي من البحث.

4/الإشاريات الشخصية:

«والمقصود بها تلك الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل "أنا" أو المتكلم ومعه غيره مثل "نحن" ،وللضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو مؤنثا » [2]، وللضمائر الدالة على الغائب« وليس من شك في أن الضمير أنا، وأنت ونحوهما له دلالة في ذاته على المتكلم ،أو المخاطب لكن السياق لازم لمعرفة من المتكلم أو المخاطب الذي يحيل إليه الضمير أنا وأنت، أما ضمير الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حرا أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوية فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات »[3] وبشكل عام فإن الإشاريات الشخصية هي« مادل على ضمائر المتكلم أو المخاطب أو الغائب» [4] والضمير والكناية لهما معنى واحد ،فالأول عند البصريين والآخر عند الكوفيين فالضمير اسم يدل غائب أو حاضر والحاضر ينقسم بدوره إلى متكلم ومخاطب كمايلي:

- غائب: هو-هما-هم- هي- هما-هن
- المخاطب: أنت- أنتما-أنتم- أنت-أنتما
- المتكلم: أنا-نحن

وتنقسم هذه الضمائر إلى قسمين بارز ومسترة، فالبارزة هي مالها صورة في الفظ أو الجملة وتنقسم بدورها إلى ضمائر بارزة منفصلة ،والتي سبق توضيحها ،وضمائر بارزة متصلة

---

[1]- المصدر نفسه ،ص : 146.

[2]- نادية رمضان النجار ،الاتجاه التداولي والوظيفي،، ص : 90.

[3]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص : 18.

[4]- ينظر :عبد الهادي الشهري ،استراتيجيات الخطاب ، ص :82.

وهي« الضمائر التي تقع في آخر الكلمة ،ولا يبتدأ بها إذ لا يمكن النطق بهاوحدها » [1]بينما الضمير المستتر مالم يكن له صورة في الكلام ،بل كان مقدرا في الذهن ومعنويا[2]وهي كما يلي يوضح ما قلناه:

- **متصل:** بالفعل: ت-ن-نا-و-ا-ي-ك-نا-ي
- **منفصل:** بالاسم والحرف: ك-نا-هـ-ي

4.1/ضمائرالمتكلم:

تحيل ضمائر على منتج الخطاب "المرسل" فهو أهم طرف في العملية التواصلية وتكوين الخطاب فهو« يملك الجهاز الصوري للغة ويعلن عن موقعه كمتكلم من خلال أمارات خاصة، لكن بمجرد أن يقوم بذلك يقوم في ذات الوقت بتنصيب الآخر قبالته أيا كانت درجة الحضور التي يحولها للآخر » [3].

وبما أن الخطاب الصوفي ترجمة لما في قلب الصوفي« لمختلف الواردات الإلهية من وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط، إلى غير ذلك من المعاني » [4]، فإن متلقيه بالدرجة الأولى من كان في نفس المقام ،ثم يليه المريد ،ثم باقي المخاطبين ،ومن ثم فإن أغلب الضمائر التي تحيل عليهم نوردها كالآتي:

4.1.1/ضمائر المتكلم المنفصلة:

---

[1]- ينظر :محمد فاضل السامرائي ،النحو العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، بيروت، ط1, 2014م 1435هـ ، ج1،ص :89 .

[2]- ينظر :المرجع نفسه، ص :94.

[3]- حمو الحاج ذهبية ،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، ط2، 2012، ص : 97. نقلا عن E.B Benveniste op.cit., pp.241-242.

[4]- ينظر ،أبي قاسم القشيري ،الرسالة القشيرية ،ص : 152.

-**أنا للمفرد:** وتكون في محل رفع وأول ما ورد هذا الضمير في قوله:« **لأن أدنى ما أنا ممنو به، ومخطوط فيه،ومراد به ومحمول عليه، ومحلول إليه،ومغموس فيه، ومعكوس معه** » [1].

تضمن هذا المثال ضمير المنفصل "أنا" والذي يحيل مباشرة على المتكلم ،وهو أبو حيان التوحيدي، ووقع هذا الضمير في الرسالة -3- وهي من الرسائل الست[2] التي كان فيها المخاطب "الشيخ الصوفي" ،حيث نجد في بداية الرسالة أن أبا حيان التوحيدي وصله كتاب من شيخه الصوفي بسؤاله عن حاله ،وهذا في قول أبي حيان« **وصل كتابك. وصلك الله بالخير وجعلك من أهله– تسألني فيه عن حالي** » [3]،فجعل أبو الحيان بعد ذلك يستصعب شرح حاله لشيخه وأنه« **لو ساعدته اللغات على اختلافها واستجابت له الخواطر على ائتلافها والتفافها** » [4]لما استطاع شرح حاله فنلاحظ أن الضمير "أنا" ،وضع موضع موصوف لما يعانيه من بلاء قد أحاط به وحمل عليه وغمس فيه محمولا إليه ،ونحى أبو حيان التوحيدي على هذا المنحى فيما استقبل من الرسالة في بيان حاله إلى أن أورد الضمير المنفصل "أنا" ،والذي يحيل عليه أيضا في محل الاستفهام في قوله :« **وأين أنا فيما قلت لما أنا مدفوع إليه؟ دعنا يا هذا عن هذا وهذا إلى متى نتلاقى فنتهادى، ونتراءى فنتعادى، ونتناجى فنتفادى، وخذ بنا إلى باب الله الذي عليه وقفت الهمم** » [5]وهذا من أسباب اتخاذ الصوفية مشايخ التربية جاء الضمير المنفصل "أنا" والذي يحيل على أبي حيان أيضا في مقام معاتبة النفس ،وذمها في عدة مواضع نسوق منها« **فأنا المتشرق المقرور،والمتحرق المصرور، والقاصد المحجوب والرائد المكذوب، والراصد المكروب وهذا لأني أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا** » [6].

---

[1]- التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص :18.

[2]- ينظر : المصدر نفسه ،ص : 14.

[3]- المصدر نفسه،ص : 17.

[4]- المصدر نفسه،ص :81.

[5]- المصدر نفسه ،ص :20.

[6]- المصدر نفسه،ص :30.

المتشرق هو المتعرض للشمس ومع ذلك يحس بالقر أي البرد ،وكذلك عبر عن البرد بالمصرور (الصر) والمخاطب هنا جماعة من الصوفية عبر عنهم ب "يا سادتي" فيما استقبل من كلامه يطلب العون منهم.

وجاء مخاطبا المريد أيضا في« **يا هذا بأي قوة أنعشك عن صرعتك وأنا على مثال حالك؟ وبأي حجة أطالبك بالحق وأنا مطالب به فيك** » [1].

نلاحظ من خلال الأمثلة السابقة أن الضمير المنفصل للمتكلم "أنا" والذي يعود على أبي حيان التوحيدي ورد في مقام عتاب النفس واستحقارها وهو ديدن الصوفية وفي هذا يقول الفضيل ابن عياض:« من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيف » [2] مع تعدد المخاطبين ونلخصه في الآتي:

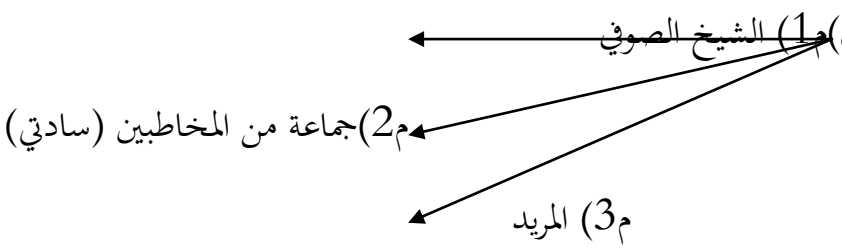

وورد الضمير "أنا" والعائد على أبي حيان التوحيدي في مقامات أخرى ،نسوق من ذلك قوله مخاطبا جماعة من الصوفية :« **أنا وحياتكم إليكم ذو صبابة لكني أشتمل من أجلكم على مهابة** » [3].

وجاء مخاطبا المريد :« **وأنا"في عرض ذلك لا أدري كيف أبرد غلقي وقد حرت، ولا أدري كيف أخمد جمرتي وقد التهبت ،ولا كيف أسكن زفرتي وقد توالت، ولا كيف أنفس كربتي وقد غالت** » [4].

– نلاحظ من المثالين السابقين أن الضمير المنفصل المفرد "أنا" ،ورد في مقام يشرح فيه أبو حيان التوحيدي شوقه وتلهفه للوصول إلى محبوبه.

---

[1]– المصدر السابق نفسه، ص :47.

[2]– ابو القاسم القشيري،الرسالة القشيرية ،ص :218.

[3]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية،ص :27.

[4]– المصدر نفسه،ص : 55.

– ومرة يكون المتكلم هو نفسه المتلقى،في تبادل الأدوار مع المريد في قوله:« **فإذا التأمت الكلمة والكلمة بالدعاء والإجابة صار الداعي مجيبا، والمجيب داعيا. وإذا صحت هذه الإشارة كنت أنا القائل وأنا السامع** » [1]. فالمتكلم هو المخاطب هنا، وعبر عن ذلك في كلتا الحالتين بالضمير "أنا" وهذا من مميزات وخصائص الخطاب الصوفي[2].

– نحن للجمع: وتكون محل رفع ،وأمثال ذلك في المدونة كثيرة منها:

ورد الضمير المنفصل "نحن" والذي يحيل على مجموعة من المتكلمين ومثال ذلك:« **اللهم(..) طلبت فلم توجد، ووجدت فلم تعرف، وعرفت فلم توصف، ووصفت فلم تلحق، وشوهدت فلم تدرك وكيف لا تكون كذا وفق ذا،ونحن لا نحيط ببعض خلقك على خوافي ما بطن فيه من حكمتك(....) وإذا كان عجزنا عن ذلك يفضحنا عندك** » [3]،وورد الضمير "نحن" أيضا **في**« **إلهنا: نحن عبيدك، متصرفون على إرادتك، متقلبون بين مشيئتك وحكمك** » [4].

– نلاحظ في المثالين السابقين أن الضمير "نحن" في هذا السياق يحيل مباشرة على مجموعة من المتكلمين (صوفية) بينما المخاطب هو الله تبارك وتعالى لأن كلا الضميرين وقع في مجال دعاء ومناجاة وأشار إلى المخاطب ب "اللهم". "إلهنا" وبالضمير "ت" في "طلبت" "ك" من حكمتك ونلاحظ أن الموقف الذي ورد فيه هذا الضمير "نحن" موقف عجز وتذلل لله عز وجل كما هو موضح في "لا نحيط"، "عبيدك".

كما ورد ضمير "نحن" والذي يحيل على مجموعة من المتكلمين في :« **اللهم إليك نفزع في كل ما هم ودهم فاكفنا أنت وارؤف بنا أنت واعطف علينا أنت، فإنك أنت أنت، وإنما نحن بك لأننا لك نتقلب في ظلال نعمتك، ونرجو غواشي رحمتك، ونسألك الاتصال بك والدعاء إليك والخشوع لك** » [5].

---

[1]–ابو حيان التوحيدي، الإشارات الإلهية، ص : 17.

[2]– المصدر نفسه ،ص : 120.

[3]– المصدر نفسه، ص :78.

[4]– المصدر نفسه، ص :208.

[5]– المصدر نفسه،ص : 321.

استعمل الضمير "نحن" وبحسب السياق الوارد فيه في موقف توكل على الله "إنما نحن بك" والثناء على الله بذكر نعمته التي تفضل بها ورحمته.

– قد يصح من خلال الأمثلة السابقة أن يحيل الضمير "نحن" على أبي حيان وحده ،إذا اعتبرنا أنه أورد دعائه بصيغة الجمع لينال من انتسب إليهم نصيب من الدعاء إذ أن الضمير "نحن" ضمير حضور لأن« صاحبه لا بد أن يكون حاضرا وقت النطق به » [1]،ومن الصعب أن تكون الجماعة المتكلمة قد حضرت في جميع الموطن التي وردت فيها ضمير المنفصل "نحن".

كما ورد الضمير "نحن" محيلا على الله تبارك وتعالى في:« **وناغنا بأسرار صدرك فطالما تكسرت في حجب الكتمان عندك وكل ذلك كان يعيننا، ونحن كنا أولك وآخرك فيها، ولو شئنا لكفيناك ولكنا رقيناك بما صفيناك لتكون عندنا على ما أردناك** » [2].

– نلاحظ من خلال هذا المثال أن المتلقي هنا المريد وهو في مقام خطاب إلهي حيث أن الضمير "نحن" يعود على الله تبارك وتعالى، فجاء الخطاب للمريد في هذه الحضرة في كشف ما في صدره من أسرار بعدما تلاشت وتكسرت وهي مكتومة ،والتي كانت لله تعالى أولها وآخرها.

– **إياي للمفرد: "إياي"** وتكون في محل نصب وإضافة "ي" للمتكلم وردت "إياي" للمفرد مرة واحدة في المدونة في:« **وإذا صحت هذه الإشارة كنت أنا القائل وأنا السامع، وكنت إياي في هذا الذكر الجامع. فبادر بدار الكيس لتستبيح وتأن تأني المتنفس لتستريح، فالخير كله أمامك وأنت تجد ما أقول حقا إذا شهدت مقامك** » [3].

فضمير "إياي" يشير إلى المتكلم "أبي حيان" وبالعودة إلى السياق الذي ورد فيه هذا الضمير، نجد أن المخاطب هو كما سماه أبو حيان« **الجاني على نفسه** » [4]والذي يدعوه إلى أن يجيب ندائه ودعوته ثم أشار أبو حيان التوحيدي إلى إشارة صوفية ،وهو الاتحاد المعنوي الذي سوف يقع بينه وبين هذا الجاني على نفسه "المريد" إذا أجاب ندائه فيصبح كما قال: **"كنت إياي في هذا الذكر الجامع"**.

---

[1]– عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص : 291-292.

[2]– التوحيدي،الإشارات الإلهية، ص : 207.

[3]–المصدر نفسه، ص : 120.

[4]–المصدر نفسه ،ص : 119.

– إيانا للمثنى: وتكون في محل نصب ووردت مرة واحدة في المدونة أيضا في قوله:« **العجب العجب ! أين نحن ويلك وما هذا الذي قد نوسوس به؟ وما هذا الذي نتهالك عليه؟ إن كان إيانا فلم نغفل عنه،وإن كان غيرنا فلم نشغل بالنار وإن لم يكن ذا وذا، فما هذا الويل الذي علينا منه؟** » [1].

– وتأتي إيانا للجمع وهنا جاءت للمثنى وتحيل على أبي حيان التوحيدي ،والمريد الذي لم يمعن في سلوك طريق القوم، والمخاطب في هذا المقام هو الله عز وجل حيث يستفهم أبو حيان وتتعجب بما هو والمريد فيه من الوسواس ،والغفلة عن الله تعالى.

– ومن هنا نستخلص أن ضمائر المتكلم المنفصلة كثيرة في المدونة وخاصة ضمير المنفصل للمتكلم "أنا" العائد على أبي حيان التوحيدي لأنه مدار الخطاب ،فقد قام مقام الناصح ،والشاكي ،والمناجي ،والمتوسل إلى غير ذلك من الأدوار، وبعد إحصاء ضمائر المتكلم المنفصلة في المدونة نستطيع أن نمثلها في الجدول التالي:

ضمائر المتكلم المنفصلة	نسبة تواترها في المدونة
أنا	50 مرة
نحن	28 مرة
إياي	ضمير واحد
إيانا	ضمير واحد

4.1.2 /ضمائر المتكلم المتصلة:

– ونجد الضمير المتصل في قوله :« **اللهم نور قلوبنا حتى ندرك بها ما أوحشنا منا، وآنسنا بها،وحيرنا فينا ،وسلطنا علينا،أما إيحاشنا منا فلعلمنا بنزولنا في ديار مخالفتك وأما أنسنا بنا فلغفلتنا عما فاتنا منك،وأما حيرتنا فينا فلجهلنا بما يراد بنا لك** » [2].

– إن ضمير المتكلم "نا" المكرر الذي ورد في المثال السابق ،وهو ما اتصل بكلمات، قلوب(نا) أوحش(نا)، م(نا), حير(نا)،علي(نا)، أنس(نا)، يعود ويحيل على أبي حيان التوحيدي ،ومن

[1]– المصدر نفسه،ص : 182.

[2]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص 24-25.

هو على حاله في الصراع الدائم بينه ،وبين نفسه والذي طلب من الله عز وجل في أن ينقذه من أدوئها من الوحشة والنسيان والحيرة ،ثم ذكر أسباب ذلك من غفلته عن الله تعالى وجهله بما يراد له من الله تعالى في طاعته ،مصداقا لقوله تبارك وتعالى :"وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون " (الذاريات ،اية 56) ،ودرج على هذا السياق في عدة أمثلة أخرى وبنفس الضمير المتصل "نا" نسوق منها:« **فيا ولي النعم(....)جد علينا بنا، واهدنا إلينا، وأوضحنا لنا، فقد بلينا فجددنا وبلينا فسددنا** » [1].

– وورد الضمير المتصل "نا" في سياق مقامي يتمثل في المناجاة ،والدعاء يظهر فيه أبو حيان التوحيدي عجزه و،وذله ،وحاجته لله تعالى في إنقاذ نفسه من هواها إلى غير ذلك من المعاني التربوية الروحية مثل:

«**ويا منقذ الأبرار من النار والعار: عد علينا بصفحك عن زلاتنا، و انعشنا عند تتابع صرعاتنا، وحط رحالنا معك في اختلاف سكراتنا وصحوتنا** » [2].

«**اللهم إنا قد عادينا الجاهلين بك فوالنا لمعاداتنا لهم فيك، وصدقنا المخبرين عنك فاجزنا على ذلك بفضلك, وبيض وجوهنا بالنظر إلى وجهك** » [3].

– الملاحظ من المثالين أن الكلمات: علينا، زلاتنا،صرعاتنا،فوالنا، وجوهنا وغير ذلك مما ارتبط به الضمير المتصل "نا" كلها تحيل على جماعة من المتكلمين "نحن" ،ويصح أيضا أن يحال على أبي حيان وحده فيكون أبو حيان التوحيدي قد دعا بصيغة الجمع لينعم الخير عليه ،وعلى جماعته.بينما جاء الضمير المتصل "ي" محيلا على أبي حيان مباشرة مع تعدد المخاطبين في أمثلة التالية:

[1]– المصدر السابق نفسه، ص :11.

[2]– المصدر نفسه، ص :2.

[3]– المصدر نفسه،ص :197-198.

خاطب الشيخ الصوفي :« **وصل كتابك– وصلك الله بالخير وجعلك من أهله– تسألني فيه عن حالي،وتستنطقني به عن "ظاهري وباطني"، وعن سري وعلانيتي، وعن سكوني وحركتي** »[1].

وجاء الخطاب إلى المريد:« **لقد قصصت أثري مني، فضللت خبري عني، وصلت بما صحبني علي، فما ازدادت إلا نفورا إلي** » [2] ، ونلاحظ هنا أن الضمير "ي" مرة يحيل على أبي حيان في "أثري وخبري، صحبني "،ومرة على نفسه في" مني، عني، علي، "وهذا عائدا إلى الصراع الموجود بينه وبين نفسه.

وخاطب الله تعالى:« **ومن سوء الأدب أن أعرفك بغير ما عرفتني به حقيقتك ،ومن الجرأة أن أعترض على حلمك ،وإن ساءني ومن الخذلان أن أظن أن تدبيري لنفسي أصلح من تدبيرك** » [3].

– أما في المثال التالي:« **وأحببت أن ينثنوا في كل حال يتعذر عليهم إلي، وليجروا على تدبيري في توسعتي وتقديري ،وأحببت لكم أن تفيضوا عليهم مما أفضته عليكم فتكونوا منعمين بنعمتي وواهمين من فضلي لتحوزوا بذلك مرضاتي** » [4].

فقدجاء الضمير المتصل "ي" مشيرا إلى الله تبارك وتعالى في "إلي، تدبيري، توسعتي،تقديري،بنعمتي، مرضاتي" والمخاطب هنا مخاطبين مخاطب يشمل في عباد الله يدعوهم الله إليه لبعدهم وتغلغلهم في الدنيا واحتقارهم لأولياء الله« **لم تحقرون أوليائي** » [5].

وأشار إليهم في "يتوكلوا، عليهم، أما المخاطب الثاني فهم أولياء الله وخاطبهم في تكونوا منعمين وواهمين".

وفي الأخير يمكن استخلاص ما يلي:

---

[1]–التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص 17 :.

[2]– المصدر نفسه ، ص :225.

[3]– المصدر نفسه، ص : 209.

[4]– المصدر نفسه، ص :53.

[5]– المصدر نفسه، ص : 53 .

الضمير المتصل **المشار إليه**

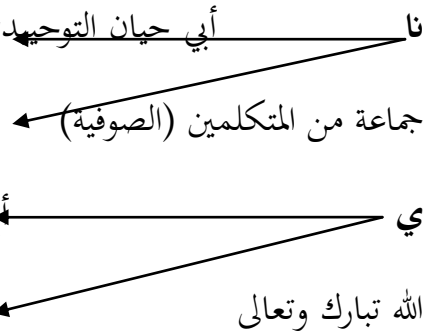

ومن بعد التتبع لجميع رسائل الكتاب وجدنا أن ضمائر المتكلم المتصلة "نا" و "ي" أكثر من الضمائر المتكلم المنفصلة ،وضمائر المتكلم المستترة، وهذا لتمركزها في مواطن الدعاء ،ومواطن المخاطبة للمريد، والشيخ ،وجماعة من المتكلمين(الصوفية).

4.1.3/ضمائر المتكلم المستترة:

– وردت ضمائر المتكلم المستترة في المدونة، تحيل على جماعة من المتكلمين تارة ،وتارة على متكلم واحد ،وهو أبو حيان ومثال ذلك:« **ولا كيف أسكن زفرتي وقد توالت, ولا كيف أنفس كربتي وقد غالت، ولا كيف أكف عبرتي وقد سالت، ولا كيف أصرف حيرتي وقد استرسلت** » [(1)].

– من خلال الملاحظة ،والسياق نستطيع إدراك الضمائر المستترة في هذا المثال ،والمتمثلة في الأفعال المضارعة "أسكن،أنفس، أكف، أصرف،" حيث تحيل الضمائر المستترة في هذه الأفعال على المتكلم "أنا" أبي حيان التوحيدي والمتلقي الأول هنا هو المريد فقد أشار إليه ب:« **يا هذا** » [(2)].

أما في:« **إلهنا إنا لانمل من مواجهتك ولا نروى من مناجاتك ولا نسلو عن حبنا لك،ولا ننسى أبدا ما توالى علينا مننعمتك** » [(3)]. والضمائر المستترة في الأفعال في" نمل، نروى، نسلو، ننسى". نرجعها إلى جماعة من المتكلمين واحد منهم معلوم وهو أبو حيان التوحيدي أما

[(1)]–التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص :55.

[(2)]– المصدر نفسه، ص : 54.

[(3)]– المصدر نفسه ،ص :79.

الباقي فغير معلومين وكما ذكرنا سابقا فقد يكون المتكلم واحدا وهو أبو حيان والضمائر المستترة تعود عليه ،وإنما تكلم ودعا بصيغة الجمع كما في "حبنا، علينا" ليعم الفضل على من معه ،وفي نفس حاله وأما المتوجه له بالخطاب في "مواجهتك، مناجاتك" فهو الله عز وجل وقد أشار إليه بالنداء المحذوف أداته "إلهنا".

4.2/الضمير المخاطب:

وهي الضمائر التي تحيل على المخاطب أو المرسل إليه فهو الطرف الآخر« الذي وجه إليه المرسل خطابه عمدا وقد أشار اللغويون القدماء من التراث العربي إلى تأثير المرسل إليه على المرسل عند إنتاج خطابه إذا أبرزوا دوره في مستوى الخطاب اللغوي مثل المستوى النحوي ،من حيث التذكير والتأنيث والعدد » [1] وتتمثل ضمائر المخاطب في (أنت،أنتما،أنتم،أنتن،إياك، وإياك، وإياكما ،وإياكم، وإياكن، وتاء المخاطب، وألف الاثنين، واو الجماعة،وياء المخاطبة ونون النسوة) ،ويلزم في هذه العملية الخطابية أن يكون« المرسل إليه حاضر في ذهن المرسل عند إنتاج الخطاب سواء أكان حضورا عينيا أم استحضارا ذهنيا » [2].

– وبعد تتبع جميع خطابات أبي حيان التوحيدي في هذه المدونة ،نلاحظ ورود ضمائر المخاطب بجميع أصنافها منفصلة ،ومتصلة ،ومستترة مع تنوع المخاطبين ،والتي سوف يتم تبيانها في الأمثلة التالية ومن نماذج ذلك قول أبي حيان في مناجاته لربه:

«**اللهم إنك أنت مفجر عيون القلب ،وأنت المطهر لمآقي العيون ،وأنت الواهب لما تشح به النفوس،وأنت القابل للبر المخسوس، وأنت القائد إلى المحل المأنوس فبتفردك إلا أفردتنا, وبعزتك إلا أعززتنا** » [3].

---

[1]– عبد الهادي الشهري، استراتيجية الخطاب، ص : 47.

[2]– التوحيدي ،الاشارات الالهية ،ص : 48.

[3]– المصدر نفسه ، ص : 57.

- وفي قوله :« **إلهنا: فأعنا على مطالبتنا بتوفيقك ،واحرسنا في مسالكنا بتأييدك فأنت محركنا في هذا القول، فكن أنت مجيبنا في هذا السؤال، أترانا يا إلهنا ندعوك بهذه الضراعة جاهلين بقدرتك(....) بل ندعوك عارفين بأنك أنت الجواد الواهب الكريم** » [1].

وفيقوله :« **وأنت أطلع على ما أقول لأن علمك محيط بكل شيء(....)فأنت الذي لا بمكان دون مكان، وأنت النازخ لا في زمان قبل زمان يا مالك الأرواح في الأبدان،ويا مصرف الأسرار في الإعلان ويا مدرج الأوان في الأوان** » [2].

- في المثال الأول ورد الضمير المنفصل "أنت" بعد الضمير المتصل "ك" ،وذلك في (إنك أنت) بحيث إذا حذفنا العنصر الإشاري "أنت" يعني عنه الضمير المخاطب "ك" ويبقى الكلام سليما لغويا ،ثم تكرر الضمير خلال الكلام وازداد الثناء على الله تعالى، وشهود منته بعد كل ضمير "أنت".

أما في المثال الثاني ورد أيضا الضمير المنفصل "أنت" ثلاثة مرات وكلها تحيل إلى مرجع معلوم، يكمن في المفرد المخاطب الله عز وجل، وهذا واضح من النداء ب "إلهنا" في بداية المثال ،والصفات الإلهية المقترنة بالضمير "أنت" في قوله "أنت الجواد الواهب الكريم".

- نجد في المثال الثالث ورود الضمير المنفصل "أنت" في سياق التنزيه لله تعالى، حيث هو المخاَطب بينما المخاطِب فهو أبو حيان التوحيدي ،والذي يحيل إليه الضمير المستتر في "أقول".

- وورد الضمير المنفصل "أنت" في« **فيا ويلك: أي بلاء أنت على نفسك ،وأي خاسر أنت في سعيك تبغي رضاء المخلوق، وتتهاون برضاء الخالق** » [3] .

- نلاحظ من خلال سياق الكلام أن الضمير "أنت" يحيل على المريد الذي لم يمعن في طريق القوم والذي له الغالبية الكبرى من الخطابات، والذي وقف المتكلم "أبي حيان التوحيدي "موقف اللائم والذام لحال هذا المريد ودعوته إلى الانتباه من غفلته ،ومعرفته حقوق الله تعالى

---

[1]- المصدر السابق نفسه ،ص : 355.

[2]- المصدر نفسه ،ص : 31-32.

[3]- المصدر نفسه ،ص : 33.

عليه فيما استقبل من الرسالة« **نتنه عافاك الله من هذه الرقدة التي قد استغرقتك بالأحلام, واعترف بحق الله عليك في كل مقال ومقام** » [1].

- وورد الضمير المخاطب المنفصل "أنت" في قوله :« **وهناك أنت أنت سلالة المعرفة ومصاص التوحيد, وصفو الحق وعين العين وكنه الكنه** » [2]، حيث يحيل الضمير المخاطَب المنفصل "أنت"، إلى المريد الواصل أي الشيخ الصوفي المفتوح البصيرة الذي وصل إلى مجالسة الله تبارك وتعالى، وأشار إلى ذلك في« **وكنت فيما كنت غير كائن،تصلح لمنادمة من هو أولك وآخرك** » [3]،أي من حيث إنشائك وموتك ،وقد أشار إلى هذا الشيخ في أول الفقرة:« **أيها الصاحب المؤثر للطائف البر، الكاتم لغوامض السر، الحافظ لأعيان الغيب، الظاهر من أدران الريب** » ويمكن تمثيل المراجع الضمير "أنت" في الشكل الآتي:

الله عز وجل المتكلم "أبي حيان التوحيدي"المخاطب (أنت)الشيخ المربي

المريد الذي لا سلوك له

كما ورد ضمير الجمع المخاطَب أنتم في المدونة ،ومن ذلك: « **أما أنتم فأوقرتم ظهوركم بالإثم والعدوان، وأعظمتم الإساءة إلى أنفسكم بالمنع ،والحرمان فهلموا إلينا بالمعذرة إن كانت لكم، وهاتوا حجتكم إن كان معكم. ولا فبعدا وسحقا لأمثالكم** » [4].

- يحيل الضمير الجمع للمخاطَب "أنتم " إلى مجموعة من العباد أشار إليهم في« **ولو أن عبادي علموا ما أرشحك له وأسوقك إليه** » [5]،وهم الذين احتقروا أولياء الله ،وأوغلوا بالإثم ،والعدوان لهم، والمتكلم في هذا المقام هو الله تعالى ،والذي يحيل إليه ضمير المتصل "ي" في "أوليائي".

---

[1]-التوحيدي ،الاشارات الالهية ،ص : 33.

[2]- المصدر نفسه ،ص : 66.

[3]- المصدر نفسه ،ص :66.

[4]- المصدر نفسه ،ص : 54.

[2]- المصدر نفسه ،ص :53.

– كما ورد ضمير الجمع" أنتم" للمخاطَب مجموعة من المخاطَبِين أشار إليهم ب :"يا قوم"و "أيها القوم" وهو مجموعة من الصوفية في« يا قوم: **فإن لم تأخذ وابيدي، فإلى من أكل أمري(.....)أنتم أهل صَبوحي،وغَبوقي وعلى خدمتكم ،ومودتكم وشجت عروقي ،وبِمساعدتكم ومُقاربتكمْ اتسعت خروقي** » [1]

وفي قوله :« **فهذه بّيناتي في محنتي ،وآياتي في فِتنتيْ، فأين أنتم من مجازاتي ومكافأتي حسب ما يليق بكم أو بي؟ أسأل الله مادةً من الصبر على محنتي فيكم، وُصنعًا من التوفيق على فتنتيْ بكم** » [2].

نلاحظ أن المتكلم "أبو حيان التوحيدي" المشار إليه بضمير المتكلم "ي" في (صبوحي، وغبوقي) في المثال الأول ،و (مجازاتي، مكافآتي) في المثال الثاني، حيث خاَطبه جماعة من المخاطَبِين ناداهم ب "يا قوم" و "أيها القوم" حيث أن ضمير المخاطَب للجمع "أنتم " يحيل عليهم في كلا المثالين ،ويدور الخِطاب في المثالين حول بث "أبي حيان" شوقه وشكواه لهم وتسوله بهم.

ونمثل للضمير الجمع "أنتم" فيما يلي:

4.2.1/ضمائر المخاطب المتصلة:

– تكررت ضمائر المخاطب المتصلة في المدونة بنسبة كبيرة ،وهذا مع تعدد المخاطَبين ،وتنوعهم، ونسوق لذلك أمثلة توضح ذلك:« **وانْظر بأي فضل خصك، ومن أي حال خلصك، وإلى أي درجة رقاك وبأي زينة حلاك، وإلى أي كنف آواك، وبأي سر**

[1]– المصدر السابق نفسه ،ص :139-140.

[2]– المصدر نفسه ،ص : 28-19.

ناجاك،وبأي غيب ناغاك، ومن أي شر وقاك ولأي غاية بقاك، وبأي تاج توجك، وإلى أي حظ هيجك ،وأي ملك قلدك » [1].

وفي قوله :« **أعني الرحيل عن هذه الفرصة، التي قد تجرعت فيها ألوان الغصة إلى كنف رب به وجدت، وبه عرفت، وبه حييت، وبه سعدت وبه عقلت، وبه رشدت، وبه أكرمت، وبه أعطيت، وبه خدمت، وبه شهرت، وبه سررت، وإليه نسبت، وإليه انتهيت، وإليه سعيت، وإليه اشتقت وإليه سلكت، وعليه توكلت وعليه تولهت** » [2].

– ورد في المثال الأول ضمير المخَاطب المنفصل "ك" ،والذي يحيل على المريد الذي يطلب لطريق الهداية[3] في الكلمات" خصك، خلصك، رقاك, حلاك، أواك،توجك."..حيث يدعوا أبو حيان التوحيدي المريد الصوفي إلى أن يتأمل نعم الله تبارك وتعالى التي من بها عليه ،وخصته على كثير من خلقه، وكذلك يحيل الضمير المخاطب المتصل "ت" في المثال الثاني ،على المريد الذي لا سلوك له في الطريق في قوله: "وجدت، عرفت، حييت، سعدت، عقلت"....، فأبو حيان التوحيدي ينبه المريد أفضال الله عليه ،وأن أفضل كنف هو ساكنه كنف الرب جل وعلى لما فيه من سعادة وكرم ،وهو أفضل معين وأعظم مولى به.

وكذلك نجد الضمير "الكاف" يحيل إلى عدة مخاطبين في قوله :« **أيها القوم انتسبت إليكم ،واعتمدت عليكم،ونزلت في جواركم وعبقت بنسيمكم، وألفت تراب أرضكم، وشربت بكأس ودكم ،وعشقت اسمكم، ولهجت بذكركم، وقلت أنتم وأنتم ،وحشت القلوب إليكم، وحشدت الجموع على بابكم** » [4].

وفي قوله :« **أطال الله أيها الشيخ بقاءك–ولا غبضة في البقاء– وأدام صفاءك– وكل العيش في الصفاء– وأيدك في تناول الحق من معادنه، وقِدم قَدمكَ إلى ديار الصدق**

---

[1]–التوحيدي ،الاشارات الالهية ،ص :36.

[2]– المصدر نفسه، ص : 44–45.

[3]– ينظر المصدر نفسه، ص : 12.

[4]– المصدر نفسه، ص : 28.

ومساكنه ،وفضلك بأفضل الفضل، وأشرف بك على أشرف الشرف، وأنعم عليك بأنعم الإنعام » [1].

– في المثال الأول إن ضمير المخاطَب المتصل "ك" يعود على جماعة من الصوفية ناداهم بقوله "أيها القوم"، ونجد ذلك في الحروف إلي(ك)م ،وعلي(ك)م ،وفي الكلمات "جواركم، ودكم، اسمكم" وأشار إليهم بضمير المنفصل المخاطب "أنتم" في "قلت أنتم وأنتم" ،وفي هذا كله يظهر أبو حيان التوحيدي شوقه وعشقه ،وولائه لهم أما المثال الثاني يوجه أبو حيان كلامه من باب الدعاء إلى الشيخ الصوفي حيث أن كاف الخطاب في: "بقاك، صفاءك وبِك، وعليكَ"، تحيل مباشرة إلى الشيخ الصوفي، ونلخص الضمائر المخاطبة فيما يلي:

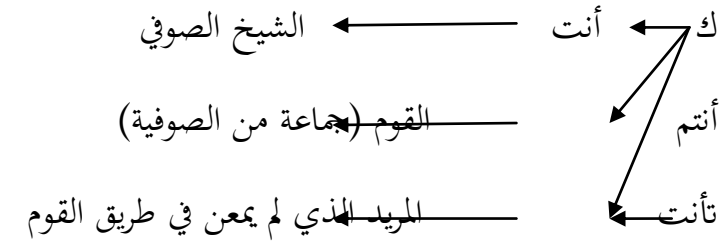

4.2.2/ضمائر المخاطَب المستترة:

– وردت ضمائر المخاطَب المستترة في رسائل المدونة محيلة على عدة مخاطبين منها:« **وقيل لك ارو فطالما ظميت، واسعد فطالما شقيت، واكتس فطالما عريت وتنعم فطالما ضنيت، وابق فطالما فنيت، وانظر إلينا فقد تجلينا، واتصل بنا فقد اتصلنا بك** » [2].

– نجد في هذا المثال أن الضمير المستتر في أفعال الأمر: "ارو، اسعد، اكتس، تنعم، انظر."...تحيل على "القطب الصوفي" الذي تقديره "أنت" ،ونلاحظ أن المتكلم هنا في المرتبة الأولى هو الله عز وجل فالضمير "نا" في "إلينا وتجلينا"،اتصل بنا يحيل عليه سبحانه وتعالى والمعنى العام للمثال هو: اصطفاء من الله لهذا الشيخ بعد تعبه ومجاهداته لله تعالى.

[1]– المصدر السابق نفسه، ص :190-191.

[2]–التوحيدي ،الاشارات الالهية ،ص :52.

أما في قوله :« **اللهم: روح صدورنا بنسيم ودك، واغمر أرجاء قلوبنا بغوامر من رفدك(....)،وجد علينا بك، وخل بيننا وبينك** » [1].

– يحيل الضمير المستتر في الأفعال: "روح، اغمر، جد، خل،"على الله تعالى بينما يحيل ضمير متكلم "نا" في "صدورنا وقلوبنا "على مجموعة من المتكلمين على لسان أبي حيان.

بينما تغير المخاطَب في هذا الخِطاب :« **وحرم على بالك أن يلم به الهوينا والفتور، وإذا حلمت بمرادك في النوم فتعلل به في اليقظة، وزن واتزن، واخضع واستكن، وتمهد واستمكن، وانظر واستحسن، وسل واستبن وخف واستأمن،وقرَّواطمأنن،وارجع في كل حادث فادح ،وفي كل مغلق وفاتح، إلى ربك** » [2].

فالضمير المستتر في "حرم، زن، اتزن، اخضع، استكن،"يحيل على المريد الذي يراد به للفلاح في طريق القوم حيث ،يقدم المتكلم أبو حيان التوحيدي بعض النصائح للمريد لتساعده في سلوكه في السير إلى الله.

وفي الأخير نستخلص ما يلي:

الضمير المستتر في:

- تنعم،ارو (أنت) ←الشيخ الصوفي
- روح، اغمر (أنت) ←الله تبارك وتعالى
- زن،اتزن (أنت) ←المريد

4.3/ضمائر الغائب:

وهي أسماء تدل على المفرد ،والجمع ،والمثنى المذكر، والمؤنث الغائب ،لدلالة على الفاعل المخفي.

وتكون منفصلة في محل رفع وتكون كالآتي: (هو، هي، هن، هم، هما.)

وتكون متصلة في محل نصب: (إياه، إياها, إياهم، إياهن, إياهما.)

---

[1]– المصدر السابقنفسه،ص :65.

[2]–المصدر نفسه،ص : 6.

4.3.1/ضمائر الغائب المنفصلة:

بعد تتبعنا لضمائر الغائب المنفصلة في رسائل الكتاب ،وجدنا أن الضمائر الغائب المتواجد في المدونة هي ضمائر المفرد المذكر ،والمفردة المؤنثة مع تعدد المراجع المحيلة عليها، ونجدها في الأمثلة التالية:

« **وإن شكوت ما بك إلى الله سمع شكواك، وإن ادعيته صادقا أو كاذبا لم يفضحك في دعواك، هو ألطف بك منك بنفسك ،وهو أصدق لك منك لنفسك ،وهو أرأف بك منك بنفسك، وهو الذي دلك على خُطاك ثم عاتبك على تهاونك في تحصيلك ، هو الذي أرادك قبل أن تريده، هو الذي أجابك قبل أن تدعوه، هو الذي نظر لك قبل أن تسأله** » [1]

وفي قوله ايضا :« **أهكذا يكون من هو محتاج مع من هو غني؟ أهكذا يكون من هو عاجز مع من هو قوي؟ أهكذا يكون من هو عبد مع من هو سيِّد؟ أهكذا هكذا أبدا، إلى أن ينكسر القلم عند الكتابة، وإلى أن يعيا اللسان عند الخطابة. وإلى أن يهيم القلب في واد المهابة، وإلى أن تُفْقد الروح في فلاة الغيابة** » [2].

– تعود العناصر الإشارية الدالة على المفرد الغائب "هو[*]" ،على الله تعالى في المثال الأول، حيث يشير المتكلم إلى الله بضمير "هو" في بيان منته ،ورأفته ،وفضله على المريد الذي يراد له الهداية ،والفوز وهو المخاطب هنا.

– أما المثال الثاني فتكرر الضمير المفرد الغائب تارة يحيل على الله تبارك وتعالى، والمريد تارة، فيقف أبو حيان متحير مستفهما عن حال المريد ،ومن الشقاء الذي هو فيه فيورد مجموعة من صفات العجز للمريد بعد الضمير "هو" الذي يحيل عليه فقير، عاجز، عبد، وما يقابل تلك الصفات من صفات الكمال لله تعالى "غني, قوي، سيد، بعد الضمير "هو" الذي يحيل عليه أيضا كما هو موضح في المثال:

---

[1]– المصدر السابق نفسه، ص :37-38.

[2]– المصدر نفسه، ص : 91-92.

(*) – هو: اطلقت على الله لطبيعة اللغة.

الله تعالى ⟵ هو ⟵ المريد

– أما في المثال التالي« **فهات الآن حالا ليس للعم فيها نسب(....) وأين تلك الحالة وكيف؟، وهل تقف عليها بعدل أو حيف؟ ،وهل تصل إليها برمح أو سيف؟ (.....)فإذا كانت هذه الحال تتنزه عن التمني في ضمائر النفس، فكيف يستطاع الامتلاء بها على صحة الإرادة ،والحقيقة ،والقيس؟ هي والله حال ذابت عليها الأكباد، ومرت على هذا الحديث في نغمتها الدهور والآباد. هي والله حال زهقت عليها النفوس والأرواح، وأتى على نعمتها المساء والصباح، هي والله (حال) علت عن الصفات والرسوم** » [1].

– نجد أبو حيان التوحيدي في هذا النص يصف حالة معنوية وصف ذائق لها ،ويصف ما كان مهرا لهذه الحالة من ذواب الأكباد عليها ،وازهاق النفوس والأرواح من أجلها ،وأشار إليها بضمير المفردة المؤنثة "هي" ،وهذه الحالة هي عبارة عن ذوق روحاني يصادف قلب الصوفي فيسكره في محبوبه وتسمى "بالخمرة الأزلية"، وعادة الصوفية وتسميتها بليلى وسعاد مثل ما قال الشاعر:

إن زرت ليلى يهون أمري ويبدل الله عسري يسرا[2]

يا قادما من ديار ليلى عطر من نشوك القدوم[3]

4.3.2/ضمائر الغائِب المتصلة:

– وردت ضمائر الغائب المتصلة في المدونة محيلة على عدة مراجع نذكر منها:« **وإلا فقدم الاستخارة لله عز وجل،فإنه إذا استهدي هدى...وإذا سئِل ثانيا وثالثا أعاد، لا يؤوده شيء ولا يعوزه شيء ولا يفوته شيء، وكيف يؤوده أو يعوزه أو يفوته وهو أو كل شيء ،وآخره ،ومبرزه ،ومظهره ،ومنيره ،ومضمره، ذاك الله رب العالمين** » [4].

---

[1]–التوحيدي ،الاشارات الالهية ص 87–88.

[2]– ديوان أبي الحسن الشتري, د. محمد العدلوني الإدريسي. ص 451.

[3]– المرجع نفسه ،ص : 68.

[4]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 9.

فالضمير "الهاء" في الألفاظ "يؤوده، يعوزه، يفوته، مبرزه، "مظهره تحيل مباشرة على الله تبارك وتعالى حيث يصف أبو حيان التوحيدي عظمة الخالق سبحانه وتعالى وعناه ما سواه وأشار إليه ب ضمير "هو" في آخر المثال.

-أما في مثال آخر في حالة ما نجد حوارا بين الله تبارك وتعالى،وأبو حيان بعدما ناداه« **يا ولي القدم أمعاقب في عشقك أنا؟ قال بل معاقب أنا في صدقك في عشقك فقلت: سيدي فهل وراء الصدق غاية أو هل فوق العشق نهاية؟ فقال: نعم، غيبتك عن صدقك برؤية صدقك وعزوبك عن عشقك باستلاء عشقك، فعندما صرخت مستغيثا وقلت: فما حيلة من إن أدنيته أبليته وإن أخفيته جليته وإن عريته جليته وإن واريته أريته، وإن سكنته هيجته، وإن قيدته أمرجت** »[1] .

فالضمير المتصل للغائب "ه" في "أدنيته، أخفيته، عريته، واريته، سكنته، فيدته"تحيل إلى الله عز وجل بينما الضمير المتصل للغائب "ه" في "أبليته'، جليته، أريته, هيجته، أمرجته،" حيث يصور المتكلم أبو حيان معاناة العشق لله تعالى ما يعتريه من أحوال خلال سيره إلى الله تبارك وتعالى بنهج العشق.

4.3.3/ضمائر الغائب المستترة:

توفر الضمير المستتر في المدونة وأحالته على عدة غائبين مع اختلاف المخاطَبين ،من ذلك نجد توافر الضمير المستتر في:« **أيها السامع: ليس كل من رقد حلم بما يريد، ولا كل من مد يده نال ما يطلب، ولا كل من ادعى سلم له دعواه, ولا كل من دعا أجيب وكل من قرع الباب دخل ولا كل من استرق السمع سلم** » [2].

– يحيل الضمير المستتر في الأفعال: "رقد، مد، نال، قرع، استرق"، على عدة مراجع غائبة تقديرها "هو" وتعرف هذه المراجع من الأفعال السابقة ،فيصبح مرجع الضمائر الغائبة هو من قام بهذه الأفعال.

---

[1]– المصدر السابق نفسه،ص :60.

[2]– المصدر نفسه،ص : 21-22.

– نلاحظ أن المتكلم "أبو حيان التوحيدي" يخاطب "السامع" الذي ناداه في بداية المثال: "أيها السامع" وقد يكون السامع المريد ،أو القارئ حيث وقف موقف الناصح لهذا السامع في تقلب الأمور ،وأن الله سبحانه قد يقلب الأضداد لأن« **هذا كله لقدرة صادرة عن غيب مشيئة** » [1].

ونجد في قوله:« **يا هذا: الغريب من إذا ذُكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زُجر، الغريب من إذا أَسْنَدَ كُذِّب، وإذا تظاهر عذب، الغريب من إذا امتار لم يمر، وإذا قعد لم يزَرْ، يا رحمتا للغريب: طال سفره من غير قدوم وطال بلاؤه من غير ذنب، واشتد ضرره من غير تقصير، وعظم عناؤه من غير جدوى** » [2]، أن الضمائر المستترة في الأفعال" ذكر، دعا،زجر،امتار، قعد، طال". تحيل على الغريب والذي هو –بعد تتبعه خلال الرسائل المدونة– على مقامه عند الله ،ولكن دنا عند الخلق فوصفه صفة اسمه لا يعبئ به ،لا ينظر إليه أما عند أبي حيان التوحيدي« **بل الغريب من توجه إلى الله قاليا لكل من سواه** » [3]وفي هذه إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » [4] رواه مسلم.

5/ النداء:

يدخل كذلك في« الإشارة إلى الشخص النداء وهو ضميمة إسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه ،أو توجيهه ،أو استدعائه(...)وظاهر أن النداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه »[5].

---

[1]– المصدر نفسه، ص : 23.

[2]– المصدر نفسه، ص :83.

[3]– المصدر نفسه، ص :85.

[4]– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ،صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث 2622 ج1 ،ص : 2024.

[5]– محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص : 19.

«فعمل النداء من الوسائل التي تؤسس لعمل التخاطب قبل الشروع فيه إذ به يتعين المتكلم باعتباره متلفظا ويتعين المخاطب باعتباره مقصودا بالخطاب » [1].

ويتحقق النداء بأدوات كثيرة هي: (يا وأي وآ وأيا ،هيا، والهمزة ،وواو)،ولكل أداة من هذه الأدوات استعمال يحسن أتخاذها ،وتوظيفها فيه بحسب حالة المنادى قربا أو بعدا » [2].

وبعد تتبعنا النداء في رسائل الكتاب ،وجدناه متوفرا بكثرة وأن مراجعها متعددة في الخطاب وأن أداة النداء المستعملة بكثرة "يا" النداء للقريب إما محذوفة ،أو مذكورة ،و"أي" للقريب، وبما أن أغلب رسائل المدونة تفتتح وتنتهي بالدعاء فكانت تفتتح بالنداء ب "اللهم" "إلهنا" وفي حوالي ثلثي الرسائل تنتهي بالنداء ب "يا ذا الجلال والإكرام".

فنجده في الرسالة الأولى يقول:« **اللهم: إنا نسألك ما نسأل، لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك،وحسن أفعالنا معك، ولكن عن ثقة بكرمك الفائض(...) فنسألك أن لا ترد علينا هذه الثقة بك فيشمت بنا من لم يكن له هذه الوسيلة إليك** » [3]،وختمها(بيا ذا الجلال والإكرام).

ونجده في الرسالة (15) يقول« **إلهنا لا جمال إلا لوجهك، ولا إتقان إلا لفعلك، ولا نفاذ إلا لحكمك ولا بهجة إلا لعالمك، ولا نور إلا ما سطح من لدنك** » [4]،وختمها ب "ذا الجلال والإكرام."

افتتح أبو حيان التوحيدي الرسالة الأولى بصيغة النداء ،والدعاء "اللهم" وأصلها يا الله ب "يا" النداء، حذف منها حرف النداء ،وعوض عنها بميم مشددة، والمنادى ،والمخاطب هو الله تبارك وتعالى ،وجملة جواب النداء هو ما أنشئ من أجله النداء ،وهو الدعاء نفسه "إنا نسألك ما نسأل لا عن ثقة ببياض وجوهنا عندك(....)فنسألك أن لا ترد علينا هذه الثقة بك" وحذفت "يا" النداء أيضا في المثال الثاني واكتفى بالمنادى وهو خير كاف "إلهنا" في موقف ثناء على الله

---

[1]- نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ص : 248.

[2]-محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية،دار الفرقان ،ط1، 1985م،ص :220.

[3]- التوحيدي، الإشارات الإلهية ،ص :1.

[4]- المصدر نفسه، ص : 102.

وجواب النداء جاء على هذا السياق "لا جمال إلا وجهك ،ولا إتقان إلا لفعلك ،ولا نفاذ إلا لحكمك".

– حذفت "يا" النداء في "اللهم"، و"إلهنا" وقد« جوز النحاة حذف النداء فتدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك، فتتجلى بهذا الحذف علاقة الاتصال الكلي بين المتكلم، والمنادى الذي هو المخاطب » [1]،ثم ختم كلا الرسالتين ب "يا ذا الجلال والإكرام " ،وهنا لم يحذف ياء النداء وأنزل القريب الله جل جلاله لأن الله قريب من عباده« منزلة البعيد فينادي بغير الهمزة وأي لأغراض بلاغية يحددها السياق وقرائن الأحوال والغرض » [2]،وهذا أنزل القريب – كما جاء خلال رسائل الكتاب نداءات الله تبارك وتعالى بصفات أخرى نذكر منها:

أداة النداء	المنادى	جواب النداء
يا[3]	أحكم الحاكمين أرحم الراحمين	لك البسطة ولنا بها الغبطة فقنا منك السخطة وإن وقعنا في الورطة، ونشبنا في السقطة
يا[4]	أول, جابر آخر, كاسر باطئ, شاكر ظاهر, غائب, هادي حاضر, ناصر قوي, قادر وارد, صادر	نسألك لطائف صنعك وغرائب لطفك، حتى نجول في أكناف مملكتك متصرفين بأدبك جارين بإطلاقك، قائلين بنطاقك، حائلين عن مساخطك
يا[5]	قدير, قديم حليم, كريم	قيض لنا منك ما يقفنا على صراطك المستقيم ويؤمننا من الزلل في سواء الجحيم

[1]–نرجس باديس ،المشيرات المقامية، ص : 271.

[2]– يوسف أبو العدوس ،مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسرة،عمان، ط1، 2007م، 1427هـ، ص :84.

[3]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 78.

[4]– المصدر نفسه،ص : 57.

[5]– التوحيدي ،الاشارات الالهية ،ص :65.

يا[1]	مولانا	منك تعلمنا ما قلنا، وبك اهتدينا فيما سألنا وإياك أملنا في قصدنا
يا[2]	ولي النعم محرك الهمم واهب القسم معبودا على القدم منشئأ من العدم	جد علينا بنا، واهدنا إلينا، وأوضحنا لنا قد بلينا فجددنا، وبلينا فسددنا، ونكبنا فأنعشنا
محذوفة	إلهي[3]	لا خير في خلقك فكن لي أنت بما أردت، فالصبر على البؤس معك أمتع من النعمة لتعرض لغيرك
يا[4]	حبيب القلوب	نسألك أن تغمرنا بنعمتك، كما خلقتنا بقدرتك وأن تسلمنا برحمتك كما ملكتنا بحكمتك

– وجاء في المرتبة الثانية النداء إلى المريد الذي لم يسلك طريق القوم ،ولم يهتدي إليها في عدة مواضع ،وبعدة أوصاف وأسماء للمنادى نذكر منها:« **يا هذا إلى متى تنافس أهل الدنيا في الدعوى؟ لم لا تنظر إلى حالك في العقبى؟ لم لا تسلك الطريقة المثلى؟ لم لا تلتمس مآربك بالحسنى؟ ماذا يجيء من هذا التهافت وهذه الذلة وهذا الجهل** » [5].

– جاء اسم الإشارة (ذا) للمفرد المذكر زائد "ها" للتنبيه إشارة للمريد، حيث كان مرجع أداة النداء "يا" عليه ،وجاء النداء للمريد في موقف اللوم ،والذم من خلال استفهامات متكررة في المثال ،وكذلك نصحه ،وإرشاده إلى ما فيه صلاحه وفلاحه.

[1]– المصدر السابق نفسه ،ص :145.

[2]– المصدر نفسه ،ص :146.

[3]– المصدر نفسه ،ص :140.

[4]–المصدر نفسه،،ص : 458.

[5]– المصدر نفسه، ص : 162.

وجاء أيضا النداء ب "يا هذا" للمريد بغرض التنبيه إلى ما صار إليه حاله وما هو مبتلى به فيقوله :« **يا هذا لو علمت ما قد نزل بك ،وما صب على هامتك، وما أحاط بك من شقاءك، لملأت الدنيا صراخا عل ىنفسك** » [1].

وجاء أيضا في محل توجيه المريد إلى مقصوده بجميع حواسه في قوله أيضا :« **يا هذا إن سهر طرفك فاجعله يراعي محاسن وجهه، وإن رقد جفنك فليلهو بطيف خياله، وإن ألح فؤادك فليستمتع بالطمأنينة إليه ،وإن توالى خبطك فليتفضل بشهاب قبس منه ،وإن اعوج لسانك فليرحم حالك معه** » [2].

وجاء النداء أيضا ب "أي" للقريب زائد "ها" ويتبعها المنادى معرف ب "أل" في قوله« **أيها المستأنس بالوحشة، الغائص في الدهشة: أمالك من صرعتك نعشه؟ أمالك إلى حظك عند الله عطشه؟ لعلك واثق بعاجلتك الفائلة الزائلة ألم تسمع قول الحكيم: رب واثق خجل؟ لعلك آمن من غائلتك: ألم يبلغك رب آمن وجل**» [3]،فوصف أبو حيان التوحيدي بأوصاف فيها ذم لحال المريد ،ولوم إذ هو المنادى هنا: "المستأنس بالوحشة، الغائص في الدهشة،والوحشة الفراق ،والبعد وهو أمر غير محمود عند الصوفية ثم أبدله بعض النصائح في جواب النداء في أن يفيق من صرعته ،ويسارع إلى ما عند الله.

-وناداه بنداءات أخرى نستخلص منها:

أداة النداء	المنادى (المريد)	جواب النداء
أي + ها[4]	الحيران في سعيه والسكران في رعيه	تصفح سرك بعقلك واحكم على نفسك بعدلك وتجمع عما قد تفرقت فيه وتفرق عما قد تجمعت له

[1]- المصدر نفسه،ص :41.

[2]- المصدر نفسه،ص : 69.

[3]-المصدر نفسه ،ص : 148.

[4]-التوحيدي ، الاشارات الإلهية،ص : 140.

أي + ها[1]	المسترق للسمع المتوالي في هذا الجمع	إذا سمعتني أدعو الله فثق بحس ظني به وإذا رأيتني أدعوك إليه فثق بخالص نصحي لك
أي + ها[2]	الكائن	تأمل مواقع آية فيك, واستنطق شواهد أثاره عليك, وتصفح مثاني أياديه عندك
أي + ها[3]	الإنسان	اسمع(.....)بدعا من الكلام وغريبا من المعاني
يا[4]	مسكين	لا تتيهن في أودية المقال عن سلوك الطريق إلى الأحوال فإنك إن تهت هكذا بقيت في ضروب الأذى
أي + ها[5]	الجاهل	ألا أراك قد ثنيت عن الحق عطفك واعتززت بضجيج الحشم خلفك وراقتك مواكبك وراعتك مراكبك
يا أيها[6]	الساهي،اللاهي	أين العبرة الساكبة على الأيم السالفة؟ أين التحزم والعدة للأحوال المستأنفة؟

-كما جاء النداء لشيخه الصوفي "القطب" في "يا لسان الوقت، وواحد هذا الورى، وعين الزمان:« **اسمع حديثي عن شوقي إليك لاهب ووجد به غالب، وعين نحوك رانية ونفس في يدك عانية وكل عندك رهين، وبعض سوء إغفالك له مهين** » [7].

وهذا النداء خصه أبو حيان التوحيدي إلى شيخه الصوفي في حالة يعبر فيها عن شوقه إليه ووجده عليه ،وحال الحرمان التي يعانيها من فراقه وبعده، فقال :« **أني قانط من عودك إلى**

[1]- المصدر السابق نفسه،ص : 116.

[2]- المصدر نفسه، ص : 35.

[3]- المصدر نفسه،ص : 155.

[4]- المصدر نفسه، ص : 432.

[5]- المصدر نفسه، ص : 428.

[6]- المصدر نفسه، ص :424.

[7]- التوحيدي ، الاشارات الإلهية، ص :73.

معهودي منك، مرحوم في حالتي التي ملك زمامي فيها لك » [1]،وجاء النداء للشيخ الصوفي "القطب" في عدة مواضع نلخصها في الجدول التالي:

أداة النداء	المنادى (الشيخ)	جواب النداء
أي + ها[2]	الجليس المؤانس والصاحب المساعد	اسمع...حتى أصف لك تصاريف حالي ومتقلب أمري, وجميع ما يدل على شكري وشكواي وراحتي وبلواي
محذوفة[3]	سيدي حبيبي صاحبي	انظر إلي, أقبل علي ادن مني احفظ عني وإذا نظرت فارحم وإذا أقبلت فتكرم
أي + ها[4]	الجوهر الشريف	أجلك عن شناعة الخطاب في التقرب إليك لأني وحق الحق – مخلص في ولائك والاعتماد عليك
أي + ها[5]	السيد	ما أمنع والقلب منفطر من شواهد حال غلق رهنها منذ زمان ويئس من فكاكه في كل أوان

-كما جاء النداء إلى مجموعة من المخاطبين ،ومن ذلك« **أيها القوم انتسبت إليكم واعتمدت عليكم ونزلت في جواركم وعبقت بنسيمكم ،وألفت تراب أرضكم، وشربت بكأس ودكم** » [6].

والنداء هنا إلى القوم وهم مجموعة من الصوفية كما ناداهم "يا" النداء البعيد "يا قوم" وناداهم ب "يا سادتي" و "يا أحبابي" فيما يستقبل من الرسالة ،فأبدى أبو حيان انتسابه إلى هذه

[1]- المصدر السابق نفسه ،ص ; 73.
[2]-المصدر نفسه، ص : 10.
[3]- المصدر نفسه، ص : 74.
[4]- المصدر نفسه،ص :155.
[5]- المصدر نفسه، ص : 16.
[6]- المصدر نفسه، ص : 28.

الجماعة وحبه لهم، وما كسبه من مرافقتهم من سعادة، وغناء ونلخص أشكال النداء وتعدد المنادى في هذه الرسائل كما يلي:

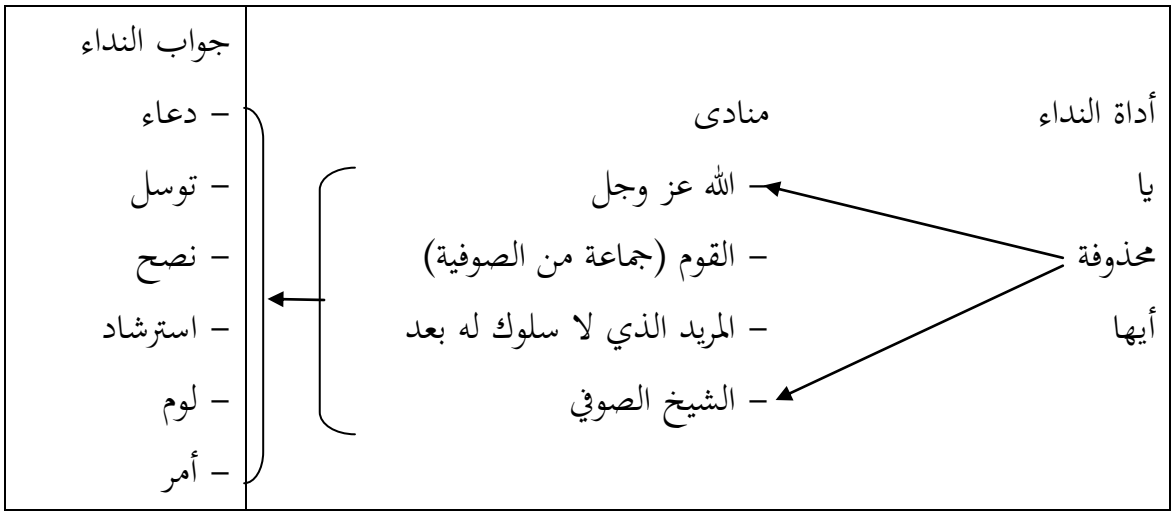

– نوَّع أبو حيان التوحيدي أشكال النداء ،بوصفها طريقة بلاغية للتعبير عن أفكاره ،ومشاعره ،وتوجهه لمختلف المخاطبين في الخطاب ،كما تحكم السياق المقامي في اختيار أبي حيان التوحيدي لشكل النداء ،وهذا ما أعطى أبعاد دلالية وبلاغية في الخطاب.

6/الإشاريات الاجتماعية:

« وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية Personnelأو علاقة ألفة ومحبة Intimacy،والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل honor fics في مخاطبة من هم أكبر سنا وقاما من المتكلم كاستخدام vous في الفرنسية للمخاطب تبجيلا له، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما، أو حفظا للحوار في إطار رسمي، وكذلك الحال في استخدام sie في الألمانية وأنتم في اللغة العربية للمفرد المخاطب ونحن للمفرد المعظم لنفسه، وهي تشمل أيضا الألعاب مثل فخامة الرئيس، الإمام الأكبر، جلالة الملك، سمو الأمير، فضيلة الشيخ، كما تشمل أيضا السيد، السيدة، الآنسة، ويدخل فيها أيضا: حضرتك وسيادتك، وسعادتك وجنابك، وقد يقتصر استعمال بعضها على الرجال مثل: معالي الباشا، وقد يقتصر بعضها على النساء مثل: الهانم، وفي الإنجليزية لا

يجوز أن تشير إلى سيدة أكبر منك سنا أو مقاما في حضورها بقولك she. وظاهر أن الإشارات الاجتماعية من المجالات المشتركة بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي »[1].

– والملاحظة في الإشارات الاجتماعية المستخدمة في "المدونة" متنوعة منها استخدام العنصر الإشاري بضمير المتكلم« **أتظن أنك شريكنا في الملك، أو رقيب علينا في التدبير، أو قادح في ارادتنا بالاعتراض؟ خلقناك عبدا فتتزيت(...) لتكون ربا، ولولا أنا نعلم من أين أتيت فيما كان منك لأبناك، وجعلناك رميما في مغناك، لكنا نعود عليك بالمنة عليك كما بدأنا ما طيه لديك** »، ففي قول أبي حيان على ما قيل له "شريكنا، علينا، ارادتنا، خلقناك، لأبدناك، جعلناك، بدأنا"، فالضمير المتصل "نا" العائد على ضمير "نحن" يحيل مرجحه إلى الله تبارك وتعالى والمفرد وهذا تعظيما، وتقديسا لذات ربنا سبحانه وتعالى ،وفي قوله أيضا :« **فلا يهمنك ما كان، فقد أفضيت إلى عز جوارنا، وصرت مكرما لدينا، مصطفى عندنا، حكمك ناقد في ملكنا، وقولك مقبول على خلقنا وأملك مبلوغ بإذننا، وأنسك مضاعف بقربنا، وحبورك زائد بحبنا وكلك منعم بنعيمنا** » [2].

– ففي قوله "حورانا ولدينا،"عندنا."إلى غير ذلك مما اتصلت به فالضمير "نا" العائد على (نحن)للجمع يحيل أيضا إلى الله تبارك وتعالى ،والذي يدل هذا الضمير "نا" على سلطته وقوته ،ونفوذ أمره سبحانه وتعالى.

– ونجد الضمير المنفصل "نحن" للجمع في قوله :« **بعيننا تقلبت في فقرك وضرك، وبمشهد ما صبرت على بلواك ومحنتك، ونحن سبكناك في اختلاف أحوالك لتصلح لخدمتنا في آخر أمرك لم يغب عنا شأنك، ولم يخف علينا سرك وعلانيتك** » [3].

فالضمير المنفصل "نحن" للجمع يحيل على الله عز وجل ،وأطلق نحن للجمع على المفرد "الله" وهذا لعظمة الله ،وتقديس نفسه سبحانه وتعالى إضافة إلى إظهار علمه بحال هذا المريد وتفضله عليه ،ومن الإشاريات الاجتماعية أيضا التي تعبر عن التبجيل والتعظيم، وقد جاءت لعدة مخاطبين، وهذا لرفعة مقامهم ورتبهم وبعدة ألقاب وصفات نذكر منها:

---

[1]– محمد محمود نحلة،آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص : 26.

[2]– التوحيدي ،الاشارات الإلهية ،ص : 525.

[3]– المصدر نفسه ،ص :52.

– خاطب الله تبارك وتعالى فقال:« **فاكنفنا يا إلهنا بالعصمة،واحففنا يا ربنا بالنعمة، واعطف علينا يا سيدنا ومولانا بالرحمة،حتى تحوز رضانا وننال الفوز الأكبر فيذراك** » [1].

– وفي قوله:« **الله أكبر الله أكبر، من أحبنا أفلس، ومن أبغضنا توسوس، هذا سرورنا من شاء يلومنا، هذا غداؤنا وعشاءنا فليكمد حسادنا وشناؤنا** » .الاشارات الالهية ص 62.

–وجاء أيضا في قوله :« **فقلت: سيدي فهل وراء الصدق غاية ،أو هل فوق العشق نهاية**»**الإشارات الالهية** ص 60.

فالكلمات"سيدنا، مولانا، سيدي "كلها ألقاب ألقاها المتكلم مخاطب الله تعالى بغرض التعظيم والتبجيل وقوله "الله أكبر" و"التكبير: لغة: التعظيم، كما في قوله تعالى: "وربك فكبر" سورة المدثر 3. أي فعظم وأن يقال الله أكبر[2]"" أي الله أجل وأعظم من أن ينسب إليه ما لا يليق به.

ومن الإشاريات الاجتماعية التي تعبر على التعظيم ،والتبجيل من أبي حيان للشيخ الصوفي فقال :« **يا لسان الوقت، وواحد هذا الورى وعين الزمان** » [3]،وهي مصطلحات صوفية لتجيل الشيخ وتعظيم« فاللسان معناه البيان عن علم الحقائق » [4]،فالشيخ أفصح من تكلم في علم الحقائق في ذلك الوقت وواحد هذا الورى أي ليس أحد بلغ مقامه وعين الزمان و "عينٌ" إشارة إلى ذات الشيء الذي تبدو من الأشياء ،قال الواسطي:« وقوم علموا مصادر الكلام من أين، فوقعوا على العين فأغناهم عن البحث والطلب » [5]،فمن وجد هذا الشيخ من المريدين وجد مطلبه.

---

[1]– المصدر السابق نفسه ،ص :256.

[2]– محمود عبد الرحمن عبد المنعم ،معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية،دارالفضلية، القاهرة، ج1، ص : 485.

[3]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 73.

[4]–عبد المنعم الحفني ،معجم مصطلحات الصوفية،ص : 229.

[5]– المرجع نفسه،ص : 190.

وكذلك لقبه بسيدي في« **قد ناجيتك، يا سيدي، بلسان النعمة السابغة** » [1]،وفي« **أيها السيد** » [2]،وفي « **أطال الله أيها الشيخ بقاؤك** » [3]،وكلها ألقاب تعظيم وتبجيل في حق الشيخ الصوفي.

– ومن الإشاريات الاجتماعية التي تعبر عن المحبة ،والألفة مخاطبا مجموعة من الناس "صوفية" في قوله :« **أحبائي على القرب بالتصافي، وعلى البعد بالتوافي**[4]،وخصص النداء إلى شيخه بصيغ الألفة والصحبة فقال :« **أيها الصديق بالسمة، المخلص بالدعوى** » [5] ونعته أيضا بقوله:« **اسمع أيها الجليس المؤانس والصاحب المساعد** » [6] وفي« **أيها الرفيق المؤانس، والصاحب الملابس** » [7].

– ورد في الأمثلة السابقة عبارات وكلمات تدل على المحبة في "أحبائي" ،والألفة ،والأنس بالمخاطَب في "الجليس المؤانس" و"الصديق"، وكلها عوامل ساعدت في إبراز العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطبين.

– كما وجدنا دلالات في بعض الألفاظ على بعض الطبقات الاجتماعية في« **ودع قولك ورائي، أم وأخت، وأب وابن، وخال وخالة، وعم وعمة، فإن هذا من غبن الشيطان ،ووسواسه ومن دقيق حيله واغوائه وإلباسه وقد قال هذا عيسى بن مريم عليه السلام – وهو روح الله– للحواريين إنكم لن تدركوا ملكوت السموات إلا بعد أن تتركوا نساءكم أيامى وأولادكم يتامى** » [8]،في المثال ألفاظ تشير إلى طبقات اجتماعية معينة: الأم ، الأخت، الأب، وابن، وخال ،وخالة، العم والعمة، والنساء والأولاد.

---

[1]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية ،ص : 12.

[2]– المصدر نفسه ،ص :16.

[3]– المصدر نفسه ،ص :190.

[4]– المصدر نفسه ،ص : 25.

[5]– المصدر نفسه ،ص : 24.

[6]– المصدر نفسه ، ص :10.

[7]– المصدر نفسه ،ص :256.

[8]– المصدر نفسه، ص : 175.

– وتحدث أبو حيان عن نفسه بضمير المنفصل نحن للجمع في« **يا هذا: أين نحن؟ حدثنا عنا فقط طحنا منا، هذا وليس لنا من هذا الديوان إلا الحديث، ولا من هذه الجونة إلا الخبر، فكيف بنا لو عاينا هذا المخبر وشاهدنا هذا المنظر** » [1].

يشبه أبو حيان الفتح الإلهي بالجونة التي يحفظ بها العطار الطيب، فعلق على نفسه بضمير المنفصل "نحن" وهذا لعظم الحال الذي هو فيه ،قبل فتح هذه الجونة أو شم ريحها، أو معاينتها من فقد نفسه منه فماذا به لو فتحها وظفر بها.

[1]– المصدر السابق نفسه ،ص :62.

الفصل الثاني

الفصل الثاني :الإشاريات الزمانية والمكانية في المدونة.

1 /الإشاريات الزمانية

أ- الظروف الزمانية غير المبهمة

ب- الظروف الزمانية المبهمة

2/الإشاريات المكانية

أ- مؤشرات المكان في المدونة

ب- الإشاريات المكانية الظرفية

3/الإشاريات الخطابية في المدونة

1/الإشارات الزمانية:

الإشاريات الزمانية« كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أومركز الإشارة الزمانية ،التبس الأمر على السامع أو القارئ فقولك مثلا بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر » [1]،« فلحظة التلفظ هي المرجع(...)ومن أجل تحديدي مرجع الأدوات الإشارية الزمانية، وتأويل الخطاب صحيحا يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ فيتخذها مرجعا يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوي بناء على معرفتها كما في خطاب صاحب المتجر التالي:

– سأعود بعد ساعة

فلا يستطيع المرسل إليه أن يتنبأ بالوقت الذي سيعود فيه المرسل وبغض النظر عن تحقق الوعد، فإنه يلزم معرفة لحظة التلفظ كي يبني توقعه عليها فقد يكون التلفظ حادثا قبل عشر دقائق أو نصف ساعة (...)ويبقى الأمر عندها مجرد تخمينات فالعبارة لا تقدم مرجعا زمنيا يمكن أن يسهم في تحديد زمن العودة » [2].

إن الزمن الذي تحيل عليه الإشاريات الزمانية نوعان:« زمن نحوي وزمن كون خارجي، والنحوي زمن الجملة، والكوني الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي مثل الظروف وأسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي » [3]،وقد يتطابق الزمان النحوي والزمان الكوني في سياق الكلام وقد يختلفان فتستخدم صيغة الحال للدلالة على المضي[4]،أو« يأتي زمن الحدث مغايرا لزمن التكلم فيستدل بالمضي على الاستقبال مثلا وذلك لإفادة تحقق وقوعه كما في قوله تعالى: "أتى أمر الله فلا تستعجلوه" ففي هذه الآية نلاحظ زمان التكلم قد جاء وقت بعثة النبي صلى

---

[1]– محمود أحمد نحلة،آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص : 19.

[2]– عبد الهادي الشهري ،استراتيجية الخطاب ،ص : 83-84.

[3]–المرجع نفسه ، ص : 90.

[4]– ينظر :محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص :21.

الله عليه وسلم إلا أن الزمن النحوي رغم كونه في صيغة المضي إلا أنه دال على المستقبل، وهذا في علم الغيب، وهو المقصود من مراد الله تعالى في سياق الآية متمثلا في يوم القيامة » [1].

وقد حدد أرمينكو تصنيفا للظروف الزمنية أو المبهمات الزمانية كالآتي[2]:

1– **المبهمات التزامنية:** استعمالها ودلالتها يقترن بالحاضر.

2– **المبهمات القبلية:** زمنها انقض وفات.

3– **المبهمات البعدية:** الزمن الذي لم ينقض بعد.

4– المبهمات الحيادية: زمنها غير محدد ودعيت بهذا الإسم لأنها تخرج عن المبهمات المحددة بسبب اختلافها عنها.

	الظروف المبهمة	**الظروف غير المبهمة**
التزامنية	الآن	في ذلك الوقت، إذا
القبلية	الأمس،الأسبوع الماضي، قبل ساعات، منذ قليل، اليوم	في ذلك اليوم، بعد مرور أسبوع، ساعات قبل ذلك
البعدية	غدا،في الأيام المقبلة، فيما بعد، بعد يومين، السنة القادمة	اليوم الموالي، السنة الموالية، بعد مرور يومين
الحيادية	اليوم, هذه الصائفة، هذا الصباح	في يوم آخر

1.1/ الظروف الزمانية المبهمة:

وهو« ما دل على مقدار غير معين ولا محدود نحو: اللحظة، الوقت والحين » [3]،ولقد استعملت هذه العناصر الاشارية المبهمة في المدونة بشكل متفاوت العدد والدلالة ففي قوله:« **فقد علمت أنك كهفي إذا أويت، وشمسي إذا أصبحت، قمري إذا أمسيت،ونجمي**

[1]–نادية رمضان النجار،الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، نقلا عن د محمد الحناش، الأساس المعرفي لمنظومة الإيداع ،ص : 97.

[2]– ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب،ص : 117-118 .

[3]– المتولي علي المتولي الأشرم، الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي، مكتبة جزيرة الورد ،المنصورة ، ص : 26.

الذي أهتدي به إذا ضللت، ومسرة نفسي إذا اغتممت، وقرة عيني إذا اهتممت، ونظامي إذا انتشرت، وناصري إذا انتصرت، وحاضري إذا غبت، وظاهري إذا بطنت » [1]،يتضمن هذا المقطع عنصرا إشاريا مكررا يكمن في "إذا" الذي يدل لما يستقبل من الزمان حاملة معنى الشرط وداخلة على الجملة الفعلية (إذا أصبحت...إذا انتصرت) ،ففي هذا المقطع استأناس لأبي حيان من الله وأن يتضرع إلى الله في حالاته معددابذلك أوصافه (نجمي، كهفي، قرة عيني) ويدل هذا على حالة أبي حيان النفسية التي تخاطب المولى كما وأنه تراه بأم عينه وهذا نتيجة العشق الذي يمتاز به الصوفي.

فالعنصر الإشاري "إذا" يوضح لنا أن هناك علاقة بين أبي حيان ،والله تعالى وهذه العلاقة ليست ككل العلاقات البشرية مع ربهم وإنما هي علاقة حب وود وطمع في الله، لأن أبي حيان ذكر الله حاضر في جل حالاته: الزمانية منها والمكانية والنفسية.

وتتجلى هذه العلاقة بوضوح في قوله:« **إذا وجدتني متهالكا في الوعد عذلتني بالوعيد، وإذا وجدتني منادرا في العوائق جذبتني إلى الدواعي، وإذا وجدتني أغيب عن حظي بالعادة أشهدتني فآتي بالحضور، وإذا وجدتني أهدر في القول قرنتني بالعمل، وإذا وجدتني أجهل قدري في أمري، عرفتني مجهولي في السر والجهر، في سر لا يطوى عني فيه النصح، وجهر لا يأس لي فيه من النجح** » [2].

– جاءت "إذا" هنا ظرفية متضمنة معنى الشرط، داخلة على الفعل الماضي (وجدتني) الذي تكرر عدة مرات بغية تذكير المخاطب، وهو الله عز وجل (والله لا يذكر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) وإنما هو دعاء ،وحمد ،وثناء لله عز وجل واعتراف من أبي حيان أنه مهما كان يقصر، ويخطئ إلا أن المولى عز وجل دائما ينجيه وينقذه.

– كما صنفت« "الآن" ضمن الظروف المبهمة والتي يشار بها إلى حاضر الوقت، وتلخيص هذا أن الزمان الذي يقع فيه ككلام المتكلم هو آخر ما مضى وأول ما يأتي من الأزمنة، وهذا

[1]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 232.

[2]– المصدر نفسه، ص : 233.

مراد قولهم الآن حد الزمانين » [1]، وقد ذكرت في المدونة مرات عدة نذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله:« **فاسكب الآن دموعك على هذه الحال التي قد حصلت عليها, وشق عليك النزوع عنها فإن الدموع المنحدرة على هذه الخدود النضرة شفاء للأكباد المحترقة بالندامة والأسف** » [2].

في المثال دلالة على الحتفي سرعة التوبة للمريد، ومعناها أن الشيء يئين إذا أتى وقته، حيث يقول الصوفية أن المريد ابن وقته« فالمراد به أنه مشتغل بما هو أولى به من العبادات في الحال، قائم بما هو مطلوب منه في الحين » [3]،ولن يحقق المريد بهذا المعنى حتى يدور مع الوقت كيف ما كان، فلا ينظر إلى ما مضى ولا إلى ما يستقبل وإنما يعيش لحظته الآنية، لأن نظره إلى الماضي والتحصر على ما اقترف من آثام وخطايا، يضيع عليه الوقت وربما ضيع أوقاتا كثيرة.

ويتبع مدى العنصر الإشاري (الآن) في المدونة بشكل متفاوت فيحتاج إلى تضافر القرائن الاجتماعية ،والأبعاد اللغوية ،والسياقية لتحديد دلالته المركزية.

وجاءت دالة على الوقت الحاضر في قوله« **فقد آن لك الآن أن تنقطع حسرة على حظوظ فاتتك من الله** » [4]،ومعنى قوله أن توقف حسراتك في هذا الوقت ،على ما فرطت في جنب الله.

وقوله أيضا« **فقل لي الآن: بمن أتعلق؟ ،ولمن أتملق؟ و،ماذا أقول؟ ،وأي شيء أسمع ،وفي أي شيء أفكر؟ ،وفي أي واد أهيم؟، وبأي ركن ألوذ؟** » ففي هذه العبارة يخاطب أبي حيان شيخه ،وهو في حيرة من أمره طالبا منه الإجابة في الوقت الحاضر، فالعنصر الإشاري "الآن "في هذا المقطع هو بمثابة الزمن الذي خاطب فيه المتكلم شيخه، فلا نستطيع تحديد مرجع الأداة الإشارية "الآن" إلا بمعرفة لحظة التلفظ ، وبهذا التلفظ هو« الذي يحدد دور

---

[1]- المرزوقي الأصفهاني ،الأزمنة والأمكنة،تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،، 1996، ص : 178.

[2]- التوحيدي،الإشارات الإلهية، ص : 41.

[3]-إأبو القاسم القشيري ،الرسالة القشيرية، تحقيق، عبد الحليم محمود ،و محمود بن الشريف،مطابع مؤسسة الشعب القاهرة، مصر، 1989، ص :300.

[4]- التوحيدي ، الإشارات الإلهية،ص : 34.

الملفوظات التداولي ويسهم في بيان دلالتها، وفي الكشف عن آلية التعامل اللغوي في السياقات المختلفة، إذ ترتبط بسياق معين، فيصبح فيصلا في بيان المرجعيات » [1].

ومن الظروف الزمانية المبهمة التي كانت بشكل كثير في المدونة ظرف الزمان "حينئذ"« المركبة من حين وإذ(....)فالحين هو الدهر، وهو الزمان قليله وكثيره فيصلح لجميع الأزمان، وإذ دالة على الظرفية الزمانية في الماضي » [2].

ومن أمثلتها في المدونة قوله:« **فكن ولي نفسك في حياتك، ووصيها بعد وفاتك، ولا تكل مصلحتك إلى غيرك فإن عنايته تقصر عنك ورعايته تعجز دونك فحينئذ تندم فلا تنفع وتأسى فلا ترجع** » [3]،يوصي أبي حيان مريده بالعمل والجد حتى لا يقع في مغبة الندم في الحين الذي يكون فيه محتاجا لأعماله وطاعاته.

ويخاطب في موضوع آخر العبد العاصي والذي طالما يناديه ب "يا هذا" قائلا له:« **يا هذا إنما أذكر لك معايب الدنيا حتى تطهر نفسك من أنجاسها،وتباعد جهدك من أدناسها ،وتفرد حالك من أحوال ناسها فحينئذ إذا صفا لك حق الدين تنفست فيه، وإذا تدلى على فؤادك حبل اليقين تمرست به** » [4]،يعني بعدما ذكره بأوصاف الدنيا القبيحة مذكرا إياه بحين التوبة التي انتظرها وحان وقتها.

ونجده يقول في موضع آخر:« **فأكتف أيها العاقل بهذا التبيه،واسلل نفسك من هذا العاجل المحشو بالتمويه،فإن الأمر عن قريب يخلص إليك، والطاعن بك يقف عليك، فحينئذ لا تستأخر ساعة ولا تستقدم** » [5]، فالملفوظ الإشاري الزماني (حينئذ) يحمل معنى الاطلاقية للزمن، بمعنى أن هذا العاقل إذا نُبهْ فعليه في الوقت الذي استفاق من غفلته أن لا يستأخر ساعة ولا يستقدم، وهنا إشارة من أبي حيان لمريده هي أنه حان وقرب وقت ولايته وسيادته منها إياه فعليه الاستعداد لهذه اللحظة الحاسمة التي تجعل منه عارفا بالحقيقة.

---

[1]- ينظر :عبد الهادي الشهري ، استراتيجيات الخطاب ،ص : 30.

[2]-المتولي علي المتولي الأشرم ،الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي، ص: 158.

[3]- التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 221.

[4]-المصدر نفسه، ص : 357.

[5]- المصدر نفسه، ص : 332.

إن المعرفة اللسانية غير كافية لفهم النص مالم ترافقها معرفة بما يقصده المتكلم وبالنوايا التي قد تختفي وراء الهيكل اللغوي للخطاب، نقصد بذلك الاهتمام بالمعنى الذي يشكل قصدية المؤلف« فعندما يفصل النص عن قصدية الذات التي أنتجته، فلن يكون من واجب القراء ولا في مقدورهم التقيد بمقتضيات هذه القصدية الغائبة » [1]، وعليه فإن تحليلنا للمدونة راعى جانب سلطة النص والرسالة التي أرادها صاحبها أن تصل للمتلقي، وذلك من خلال اعتمادنا على آلية التحليل التداولي التي تراعي المخاطب والمتلقي والرسالة وظروف إنتاج الخطاب ولا سيما منها الزمن الذي أنتج فيه الخطاب لأن له دور فعال في تفكيك مقصدية صاحب النص.

ومن الملفوظات الزمانية التي كان استعمالها بشكل واسع وكثيف في المدونة ظرف الزمان "متى"« فهي اسم للوقت المبهم، وهو ظرف يتضمن معنى الاستفهام والشرط ،فالاستفهامية تفيد الاستفهام عن الأزمنة كلها » [2]. وجاءت في قوله اسم شرط لتعميم الزمان:« **فإنك متى جعلت التروح لهذه الأحاديث الغريبة ديدنك، فعما قليل تصير ممن إذا قال باح، وإذا سمع ارتاح، وإذا فكر طاح، وإذا اعتزم ساح، وإذا عبق فاح** » [3]،متضمن القول هو أن التوحيدي ينصح مريده بأن يجعل هذه الإشارات الإلهية ترويحا له عن نفسه من مغباتها وشهواتها فإنه متى جعلها ديدنه يصير لا محالة وليا وذا سيادة على نفسه وأفادت متى هنا مطلق الزمان يعني أي وقت سخره لهذه الأحاديث الغريبة كما سماها فيكون له نصيب منها،والخطاب ليس موجها فقط للمريد الذي اختصه أبي حيان وإنما كل سالك لطريق التصوف ،والزهد والعبادة حتى وان لم يكن في عصر التوحيدي،ولهذا فإن هذا الكلام في لحظة تلفظه يعد خطابا لأنه تلفظ به في لحظة ما ،لا يعرفها إلا المتلقي ،وكانت سمة تأثير المتكلم في المتلقي بارزة ،وأما باعتباره نص فإنه يمتاز بديمومة الكتابة، فهو يقرأ في كل زمان ومكان فالنص يتوجه به إلى متلق غائب يتلقاه عن طريق القراءة أما الخطاب لا يتجاوز سامعه إلى غيره.

---

[1]– أمبرتو إيكو ،التأويل بين السميئياتت والتفكيكية، ترجمة: سعيد نبكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة (2)، 2004، ص : 124.

[2]– نصر الدين فارس،عبد الجليل زكرياء ،المصنف في النحو واللغة والإعراب، دار المعارف، حمص، سوريا، ط2، 1990ن ص : 212.

[3]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 266.

ووظفت "متى" توظيفا تداوليا في قوله« **قل: متى كان اليل مطبتك بالتهجد؟ متى كان النهار منصرفك بالتزهد؟ متى كانت ساعاتك مشغولة بالتفرد؟ متى كانت حركاتك مقصورة على التعبد؟ متى كانت سيرتك جارية على التوحش والتأبد؟ متى جعلت حياتك قعود سفرك؟ متى قصدت الجنة بغاية وطرك؟ متى وجدت الله في أقاصي نظرك وفكرك؟ متى تركت الدنيا قاليا لها ببصيرتك؟ متى أصبحت ماقتا لها بخبرتك** » [1]،استعملت في ظاهرها للاستفهام لكن المعنى المستلزم يحمل قوة انجازية تكمن في التهكم والتوبيخ والإنكار على المتلقي.

ونجد في المدونة أيضا لفظة "الوقت" التي لها دلالة رمزية عند الصوفية غير الدلالة اللغوية التي نعرفها ومنها قوله:« **وتولى بالحسنى قبل هذا الوقت في القدم** » [2]،وقوله أيضا في موضع آخر:« وأدعي **لك إلى إحراز نصيبك من وقتك. والوقت حاد، فكن من حدته على حذر، والحذر هنا أن يوكل همك بالعلويات الأبديات الدائمات الباقيات الصالحات الناعمات** »[3]،للوقت عندهم دلالات متعددة منها أن العبد في زمن الحال، أي عندما يتصل وارد من الحق بقلبه ،ويجعل سره مجتمعا فيه بحيث لا يذكر في كشفه الماضي ولا المستقبل [4].

ومعنى الوقت في قول أبي حيان الأول: أن الوقت هو الغالب: إن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى، وإن كنت بالسرور فوقتك السرور، وإن كنت بالحزن فوقتك الحزن.أما قوله "الوقت حاد" هذا ما أشار إليه الصوفية إلى أن "الوقت سيف" أي كما أن السيف قاطع, فالوقت غالب بما يمضيه الحق.

وقيل:« السيف لين مسه قاطع حده ،فمن لاينه سلم، ومن خاشته اصطلم،كذلك الوقت عنهم من استسلم لحكمه نجا، ومن عارضه انتكس » [5]، وكما عبر أبي حيان عن هذا المعنى بقوله: "**فكن على حديه على حذر**" أي اجعل من وقتك مساعدا لك حتى لن يكون مقتا عليك.

---

[1]- المصدر السابق نفسه، ص : 308.

[2]-المصدر نفسه ، ص : 11.

[3]- المصدر نفسه ، ص : 49.

[4]- ينظر : عبد الرزاق الكاشاني ، معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق ، عبد العال شاهين ، دار المناد ، القاهرة ، ط1 ،1995 ،ص : 78.

[5]- ينظر :ابو القاسم القشيري، الرسالة القشيرية ،ص : 299.

ساهمت المبهمات الزمانية في تحقيق التواصل في كل مستوياته داخل النص وذلك من خلال فرض التوحيدي سلطته على المتلقي والتأثير فيه بأسلوب الإشارة والعبارة ناقلا له تجربته الروحية وداعيه إليها، ولاحظنا أن استعمال الظروف المبهمة في الإشارات تم على عدة مستويات، وعدة استعمالات، فمنها من جاء بدلالة صوفية محضة تعكس تجربة التوحيدي ومنها من جاء استعمالها تداوليا وتواصليا،كما كان لهذه الظروف الدور الأساسي في اكتمال بنية هذا الخطاب ،وتحقيق التواصل ،والحوار الذي أراده التوحيدي مع ربه تارة ومع مريديه تارة أخرى.

1.2/ الظروف الزمانية غير المبهمة:

وهي« ما دل على وقت مقدر معين محدود، أي ماله نهاية تحصره، ويسمى ب "المؤقت", وإما أن يكونمعلوما،واما أن يكون غير معلوم ،فالمعلوم هو المعروف بالعلمية ك: رمضان،والمعرفب (ال)،كاليوم" ،و"العام" ،ونحوه ومما أضيف من الظروف المبهمة إلى ما يزيل إبهامه شيوعه(...) وغير المعلوم هو النكرة المعدودة ك: "يوما، يومين، شهر، شهرين، عاما، وحولا(...)" وسائر أسماء الشهور كالصيف ،والخريف ،والشتاء ،والربيع » [1].

لقد كان استخدام العناصر الإشارية الزمنية غير المبهمة في المدونة بشكل متفاوت العدد والدلالة أيضا،فقد جاء في قول التوحيدي:« **ويا موج الليل في النهار** » [2]،جاءت هذه العبارة في معرض الدعاء فكان التوحيدي يفتتح رسالته بالدعاء ويختتمها بالدعاء ،ولا شك أن الدعاء كان من بين الآليات التي كسرها التوحيدي في كتابة الإشارات لغرض استعطاف السامع واستمالته، ويتمكن من النفاذ الى نفس مريده وقلبه.

تضم هذه العبارة عنصران إشاريان زمنيان هما (الليل والنهار) ،وجاء هذا المعنى مرات عدة في القرآن الكريم، معناه أن الله الوحيد القادر على أن يدخل الليل والنهار ،والنهار في الليل فتارة يطول الليل ويقصر، وتارة يطول النهار ويقصر، فمن خلال الدعاء بهاته العبارة اعتراف من التوحيدي بقدرة الرحمن على تقليب الليل والنهار وبهذا يكسب في نفسه رهبة وخشية من المولى عز وجل، الذي هو خالق هذا الكون والمتصرف فيه.

---

[1]-المتولي علي المتولي الأشرم ،الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي ، ص : 48.

[2]-التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 01.

– وورد في قوله أيضا:« **هيهات،هيهات، والله لتصبرن الحسرة على صدرك جمرة من النار، تتوقد بالليل والنهار، إلا أن، يقضي الله فيك بما أنت أهله، فإليه المصير** » [1].
فالمرجعان الزمنيان يحيلان على تعاقب الليل والنهار ،وهذا تأكيد من التوحيدي لمخاطبه على أن حسرته باقية ما بقي الليل والنهار، ولكي يزيد من تخويف سامعه عبر ب"تتوقد" أي أنها كل ما حل ليل أو نهار جديد يزيد توقدها على نفسه.

– ومن الأوقات المعينة المحدودة التي استعملت في المدونة نجدها في قوله:« **وامح عن سرك الفكر في كل ما كان أمس، وصله بمحو ما يكون في غد، فإن ذلك أحضر لبالك في يومك** » ،فالأمس« هو اليوم الذي يليه يومك الذي أنت فيه وقد مضى » [2]،لا يقصد التوحيدي بكلمة "أمس" معناها الحرفي، وإنما أراد بها الماضي وكل الزمن الفائت الذي عاشه المتلقي، وغد« اسما لليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه » [3]، وغداً في عبارة التوحيدي قصد بها خلاف المعنى الحرفي للفظة ، وأراد بها الزمن المستقبل الذي إن قدر للمتلقي أن يعيشه.

– وجاءت كلمة "يوم" مقترنة بضمير المخاطب فكلمة يومك في هذا الخطاب تعني الخصوصية لهذا يوم الذي يعيشه ، فأراد التوحيدي تبليغ رسالة للمخاطب مفادها أن يكون حاضره أحسن من ماضيه الفائت،واليوم هنا ليس باليوم الذي يتكون من أربع وعشرين ساعة زمنية بالقياس الزمني وإنما أراد بها حياته كلها من باب إطلاق الجزء على الكل،وقد يستعمل "يوم" بمعنى المطلق من الزمان« كقولهم أنا اليوم أفعل كذا فإنهم لا يريدون يوما بعينه لكنهم يريدون الوقت الحاضر والعصر المعاش » [4].

–كما استعملت إشارات زمانية عديدة في المدونة مثل ألفاظ (الصباح–المساء–السنة) نذكر منها قوله:« **هي والله حال ذابت عليها الأكباد، ومرت على هذا الحديث في نغمتها الدهور والآباد، هي والله حال زهقت عليها النفوس والأرواح، وأتى على نعمتها المساء**

---

[1]– المصدر السابق نفسه ، ص : 42.
[2]–المرزوقي الأصفهاني ،الأزمنة والأمكنة ، ص : 180.
[3]– المرجع السابق نفسه، ص : 180.
[4]– محمود أحمد نحلة،آفاق في البحث اللغوي المعاصر،ص : 21.

والصباح » [1]،في هذا الخطاب عدة عناصر إشارية زمنية تتمثل في لفظة: "الدهور والآباد" و"الصباح والمساء" ،والتوحيدي هنا يخاطب مريده ويصف له الحال التي أراده أن يكون له نصيب منها ومصطلح الحال في هذا الملفوظ لها دلالة صوفية فعرفها الكاشاني في قوله:« الأحوال من ثمرات الاستغراق في ذكر الله سبحانه وتعالى وهو ما يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل، وسميت أحوالا لأنها تتحول ولا تدوم، فإذا دامت وصارت ملكاتسمى مقاما » [2].

أما إحالة العناصر الزمنية في هذا الخطاب هي الديمومة والاستمرار فإنما الزمان الدهر، والأبد من أسماء الزمان غير المحدودة والممتدة ،ودلالة هذا أن استمرار الحال بلا بداية ولا نهاية ،ودلالة عنصر الزمان "الصباح والمساء"، هي تعاقب الزمن على نعمة هذه الحال، وجاءت بهذا المعنى في المدونة كذلك« **وآفات في الصباح والمساءمتواترة** » [3].

ومما ورد من العلامات الخاصة بالعنصر الإشاري المتصل بالزمن في المدونة ،قوله:« **هيهات، بلغت هذا المكان بقلمي، وقد خنقتي العبرة تذكرا لهذه الأحوال من قوم شاهدتهم منذ أربعين سنة كانت صفحات وجوههم مبشرة بالخير المطلوب** » [4]،دلت لفظة أربعين سنة على المدة الزمنية الماضية التي مرت على التوحيدي ،منذ مشاهدته لهؤلاء القوم، إذ لا يتضح تعيين بداية هذه الفترة إلا بمعرفة زمن تلفظ التوحيدي بهذه الإشارات. فلحظة التلفظ هي المرجع ولهذا«يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى ،ونربط كذلك بين الزمن والفاعل لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية » [5].

– كما نجد في قوله عنصرا إشاريا زمنيا استعمل في المدونة استعمالا تداوليا حيث جاء في قوله:« **يا هذا: لا مستقل لك إلا الله، ولا عود لك إلا إلى الله، ولا توكل لك إلا على الله، ولا خير لك إلا من الله، ولا نجاة لك إلى بالله، ولا منعم عليك إلا الله، ولابدلك**

---

[1]– التوحيدي ، الإشارات الإلهية ص : 88.

[2]– عبد الرزاق الكشاني، معجم اصطلاحات صوفية ص : 81

[3]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 256.

[4]– المصدر نفسه ، ص : 160.

[5]– ينظر،عبد الهادي الشهري، استراتيجية الخطاب، ص : 83 .

على كل حال من الله "فاقض ما أنت قاض إنما هذه لحياة الدنيا" (طه:72) وهي أيام معدودة وأنفاس محدودة » [1]،فإحالة العنصر الإشاري "أيام معدودة" في هاته العبارة على قصر عمر الإنسان، وزيادة على ذلك التحقير من الحياة، واستمالة من التوحيدي لمخاطبه للزهد في دنياه بالتقرب إلى مولاه. لأن المسألة ليس المقصود منها الزمن الذي يحياه المخاطب وإنما العبرة في الأعمال، والأحداث التي تكون في هذه الأيام القلائل.

– ومن العبارات التي تضمنت إشاريات زمنية دالة على حدث قوله:« **والله يا رفيقي وشريك, لقد صحبت الليالي ستين عاما منذ عقلت, فما غدر بي إلا من استوفيته، ولا كدر علي إلا من استصفيته، ولا أمر لي إلا من استحليته، ولا أهمل أمري إلا من استرعيته** »[2]،يخاطب التوحيدي في هذه العبارة (رفيقه وشريك زاده) كما سماه هو ،ويخبره عن خبرته وحنكته في الحياة، وتحيلنا لفظة "ستين عاما" على مرجع هام الا وهو العمر الذي وصل إليه التوحيدي لحد كتابته لهذه الإشارات، فهذا الزمن الذي يخبر به التوحيدي مخاطبه ،له دلالة عميقة على غدر الزمن والناس التي مرت على حياة أبي حيان ،وهو الذي عانى من جور الناس وظلمهم واتهامهم له بالزندقة ،كان أثر هذا بارز في هذا الخطاب« فالزمن هو حصر حدث ما في محور الأزمنة بالنسبة لوقت معتمد كمرجع » [3]،فتعود بنا هذه الستين عاما إلى تاريخ معين من حياة التوحيدي وتعد مرجعا لأهميتها في تحديد الأحداث التي عايشها.

– ومن الإشاريات التي دلت على وقت محدود ومعلوم ك "شهر رمضان ،ويوم العيد وفصل الربيع" نجدها في قوله:«**كتبت إليك في أواخر شهر رمضان ومستقبل العيد عن حال ذات ألوان، ما أرضاها مكتومة عندي لما أعرف من غوائلها ولرجاتها** » [4]،مخاطبا التوحيدي شيخه ويبوح له أنه كتب له رسالة في آخر رمضان ،ومستهل العيد ليعبر له عن حاله أرادها أن تكون معلومة لأن كتمانها يؤرقه، ويفسد عليه راحته، وهي دعوة من التوحيدي لمتلقيه الذي هو (شيخه) كي يمد له يد العون للتعود على هذه الحال، أما العناصر الإشارية التي تمثلت في شهر

---

[1]– التوحيدي ، الإشارات الإلهية، ص : 37.

[2]– المصدر نفسه،ص :392.

[3]–حمو الحاج ذهبية ،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص : 116.

[4]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 227.

رمضان ويوم العيد بمثابة زمن الحدث، أو ما يدعوه "بنفست" بزمن الحديث أو زمن الخطاب حسب "تودوروف" وهو البحث عن تمثيلية الزمن في ارتباطه مع لحظة الحديث فيتجلى زمن الحديث في الحاضر الذي يشكل مرجعيته[1].

ولشهر رمضان في هذا الخطاب دلالة عميقة ،ولا سيما أواخره فهي إشارة من التوحيدي على الحال الروحانية والنفس الخاشعة ،والقلب المنكسر في هذا الشهر الفضيل، فهو تعبير ضمني منه على أن نفسه كانت في رمضان مشبعة بالخشوع والتضرع للمولى عز وجل ،وكيف لا ،والصوفية حتى في أيام الشهور العادية هم في اتصال وخشوع مع ربهم فما بالك بشهر رمضان ،ثم يستأنف قوله بهذه العبارة:« **فمن أوائل تلك الكتابة, أني قد قابلت العيد بصباته لا ينادى وليدها وترحة لا أطمع فيما يبلي جديدها** » [2]،يخبره عن مضمون الرسالة والتي ابتدأها بشوقه الحارق في أيام العيد ،الذي يكون يوم فرح وتلاق للأهل والأحباب، أما حال التوحيدي في هذا الخطاب ،هي حال مشتاق ومتألم في يوم فرح، ونستخلص أن هناك ارتباطا بين الزمن الطبيعي وبين الأحداث والوقائع الاجتماعية التي يعايشها التوحيدي.

ويتكرر فعل الكتابة في لفظ من ألفاظ الزمن المحدد وهو فصل الربيع حيث يقول:« **كتبت إليك والربيع مطل والزمان ضاحكن والأرض عروس والسماء زاهر، والأشجار ورقة** » [3] يحيلنا لفظ الربيع على زمن كتابة التوحيدي لشيخه معددا أوصاف الكون في هذا الفصل فزمانية الحدث أن كل ما يقوم به الإنسان من فعل أو نشاط يتزامن أي يتم في إطار زمن يحدده ويميزه، فارتباط الحدث بالزمان يكون وعاء له بمعنى أن الزمان الذي يتميز بحوادث وأفعال معينة اعتمادا على ما يقرره المتكلم، فتقدير الزمان بالأحداث التي يتميز بها الإنسان[4].

ثم يستأنف التوحيدي خطابه مع شيخه بقوله:« **فحدثني يا سيدي كيف أسرح طرفي في آثار هذا الربيع؟ وكيف أفرح بما أرى من الزهر والنور، وعلى قلبي أقفال الهموم وليس لها**

---

[1]-ينظر :حمو الحاج ذهبية ،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص : 116.

[2]- التوحيدي ، الإشارات الإلهية، ص : 228.

[3]- المصدر نفسه ، ص : 323.

[4]- كريم زكي، حسام الدين ، ،الزمان الدلالي(دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية)، دار غريب للطباعة القاهرة، مصر، ط2، 2002، ص : 190.

مفتاح، وعلى كاهلي أثقال الغموم وليس لي منها سراح؟ » [1]،نلاحظ في هذا النموذج من المدونة ،محاورة التوحيدي لشيخه الذي يناديه مرة شيخي، ومرة حبيبي، ومرة سيدي، فهناك رغبة جامحة في التواصل تدفع المتكلم إلى فرض التحاور بالقوة، وقد تمثلت في لفظة "فحدثني" ،وهي عبارة عن طلب المشاركة التخاطبية من التوحيدي بغرض التواصل أثناء التلفظ بهذا الخطاب، أما العنصر الإشاري "الربيع" المكرر هو بمثابة المرجع الذي يحيلنا على نفسية التوحيدي المهمومة والمثقلة ،حيث أراد من سيده كيفية ابهاج نفسه ،ويتخلص من الكدر حتى يزهر قلبه كما أزهرت الورود في فصل الربيع.

من الواضح جليا أن للإشاريات الزمانية دور في تكوين الخطاب الصوفي عند التوحيدي وبناء التواصل القائم على (الأنا والزمان) بكل أنواعه الطبيعي والفلسفي وكل هذا يحدده السياق الذي ترد فيه هذه الثنائية.

فالصوفي لا يعترف بالزمان كإطار للحوادث ولا كديمومة للحالات الشعورية فالزمان لديه مثل المكان يمكن أن يسافر فيه أي اتجاه شاء، أماما أو خلفا، كما يمكن أي يحضر فيه، ويمكن أن يغيب، ومن هنا جاءت المقولة الصوفية« لا فرق بين غيبة المكان ، وغيبة الزمان » [2].

2/ الإشاريات المكانية:

وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة. ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا الكلمات مثل هذا، وذاك ،وهنا ،وهناك ،ونحوها إلا إذا وقفوا على ما يشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان،فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه immediatephysicalcontext ومثل هذه التعبيرات أمثلة واضحة على أن أجزاء من اللغة لا يمكن أن تفهم إلا في إطار المعنى الذي يقصده المتكلم،speokerinterdedmeaning فإذا قال شخص أحب أن أعمل هنا، فهل هو يعني في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أو في هذا المبنى، أو في هذا الجزء من المدينة، أو في

[1]– التوحيدي ، الإشارات الإلهية، ص : 324.

[2]–محمد عابد الجابري ،تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط10، 2009، ص : 347.

هذه الدولة، أو في غير هذه جميعا. فكلمة هنا تعبير إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه.

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا هي كلمات الإشارة نحو هذا، وذاك للإشارة إلى القريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم،وكذلك هنا ،وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب ،أو بعيد من المتكلم، وسائر ظروف المكاني مثل فوق ،تحت ،أمام ،وخلف...إلخ كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه[1].

كما أن تحديد المرجع المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية استعماله لمعرفة وقائع الأشياء وذلك كما في خطاب السائق عندما يهاتف صديقه ليبلغه عن مكان وجوده بقوله:

- تقع الجامعة على يميني

أو مثل من يصف موقع مسجد لغريب لا يعرف طريقه.

- يقع المسجد على بعد كيلومتر

فبالرغم من اكتمال الخطاب لغة، وبالرغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، إلا أنه يصعب عليه معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلا استطاع أن يعرف اتجاه سير المرسل، ومثله تحديد موقع المسجد(...)ولذلك فإن معرفة المواقع في كل من الخطابين تستلزم شيئين, هما: معرفة مكان التلفظ، واتجاه المتكلم لأنه يقود استعمال إشاريات المكان ، في غياب الدقة في التحديد عند التلفظ إلى اللبس[2].

إذ أنها لا تحمل دلالتها في ذاتها بل إن معناها بتحديد سياق التلفظ، إن تحديد المرجعية المكانية تفرض على المخاطب مراعاة سياق انتاج الخطاب[2].

---

[1]- ينظر :محمود أحمد نحلة،أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ،ص : 21-22.

[2]-ينظر :عبد الهادي الشهري، استراتيجية الخطاب ، ص : 84-85.

[2] -ينظر :جواد ختام،التداولية اصولها واتجهاتها ، ص :81.

- أمثلة المبهمات المكانية في أسماء الإشارة:

أسماء المكان	الصفحة	أسماء المكان	الصفحة	ظروف المكان	الصفحة
- النار	1	المملكة	23	وراء	-183-6
- دار المقامة	8	الأكوان	32		60-70
-العالم	9	الكون	50	خلفي	129
السفلي		وطن	81	أمامي	129
-المحل	9	السموات	170	تحت	185-53
العلوي		وادي	92	فوق	223-60
- الآخرة	10-19-	العالم الأعلى	96	هنا	54
	33	العالمين	90		
- الأولى	10	الصراط	18		
- الدنيا	19-33-	المستقيم			
	51	الملأ الأعلى	17		
- العالم	21	الدار الخالية	45		
- دار القرار	143	أرضا	105		
- المسجد	143-94	سماء	105		
- الأرض	94	شرقا	105		
-المحل المؤنس	57	غربا	105		
-العالم	165	جنوبا	105		
العلوي		شمالا	105		
- الورى	104				

اسم المكان	الصفحة	ظروف المكان	الصفحة
- الجنة	296-188	- حيث	-359-379

- ديار الصدق	191		304
- السيت	199	-أين؟	-342-226
- جهنم	208		328
- المصلى	229	- هناك	278
- المقام والناد	232		
- هذه الدار	257		
- الدار الأخرى	258		
- الدار الزائلة الفانية	271		
- سدرة المنتهى	280		
- الذرى العالية	285		
- دار السكنى	302		
- البلد والمدينة	304		
- بلاد الغربة	311		
- الروم والصين	324		
- البلدة الولية، المدينة	334		
- هذا العالم القديم	254		

2.1/ مؤشرات المكان:

وبعد تتبع الإشاريات المكانية في المدونة لاحظنا أنها وردت بكثرة ،وتنوعت بحسب أغراض الخطاب ،وبحسب لحظة التكلم ومكان التكلم، وفي هذا يقول المسدي:« ليس الكلام متعاملا فحسب مع عنصر المكان وإنما هو حبيس سياجه » [1]،فلكي لا يلتبس علينا الخطاب،لا بد من تحديد المواقع ،والمراجع المكانية لأنها تلعب دورا فعالا في اكتمال عملية التواصل.

[1]- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ط2، 1986، ص :248.

وقد أوردنا بعض الأمثلة للتحليل مع إيراد دلالتها:

– **الجنة:** إن لفظ الجنة في المصنفات الصوفية له دلالات باطنية غير الدلالة المركزية الظاهرة والمتعارف عليها عند جمهور اللغويين والمفسرين، لأن لهم معان ودلالات لم نألفها وهذا شائع في لغة المتصوفة التي تسمى اللغة الإلهية لا يدركها إلا أرباب السلوك بطرق الإشارة والعبارة.

– ولقد ورد هذا اللفظ في المدونة عند أبي حيان بعدة دلالات ،وبحسب ما كان يختلج في نفسه فتجسد في لغة إشارية يعبر بها تعكس الدلالة الباطنية للفظة التي يريد المتصوف إيصالها لمريده.

« **ثم التنبؤ من الجنة حيث تشاء، آمن السرب، طيب الشرب، رخي البال،رفيع النظر** »[1]،فالجنة المقصودة كما يبدو في سياقها الذي وردت فيه ،هي ليست تلك الحدائق والبساتين والنعيم المقيم التي وعد بها رب العالمين لعباده المتقين الصالحين، وإنما لها دلالة صوفية متداولة لا يعلمها إلا أهل التجرد والتصوف وهي المقصودة في هذه العبارة.

والمراد من الجنة في هذا السياق هي الحالة الروحانية والحلاوة الإيمانية ،والنفس الخاشعة المتجردة من شهوات وبراثن الدنيا الزائلة ،وهذا بحد ذاته موصل إلى الجنة الأخروية.

لأن في بداية الرسالة والتي يخاطب فيها هذا الشخص الغافل الساهي ،بعبارة تأكد معنى لفظ الجنة في العبارة السابقة الذكر قائلا له:« **ستبلغ حضرة ربك فتصادف روحا وريحانا وسكونا واطمئنانا** » [2]،وتتجسد هذه السمة في النعيم والرضا والراحة والاطمئنان في كل من الجنتين، إذ ما يجده العارف في هذه الدنيا من وصل وقرب من الله وما يترتب عن ذلك من سعادة ونعيم ورضا، هي تكاد تكون تشبه ما يلقاه المؤمن الصادق في الجنة المؤجلة التي وعد بها الله عباده الطائعين أو أكثر.

---

[1]– التوحيدي ، الإشارات الإلهية، ص : 269.

[2]– المصدر نفسه، ص : 268.

– ويقول الإمام القشيري: "والجنان التي يدخل المؤمنين فيها مؤجلة ومعجلة،فالمؤجلة ثواب وتوبة والمعجلة أحوال وقربه،قال تعالى: "ولمن خاف مقام ربه جنتان[1]".وبهذا المعنى ندرك أن أبي حيان أورد لفظ الجنة والذي كان يريد به المعنى الصوفي الباطني ألا وهو القرب من المولى عز وجل ،وذلك بالالتزام بطاعته بالتجرد من الشهوات وتزكية النفس والسير في السبيل الوصول إليه. وكل ذلك ما يسمى عنهم بجنة الوقت أي هنا في هذه الدنيا.

– النار: جاء لفظ النار في العبارة التالية:« **ويا منقذ الأبرار من النار والعار** » [2]وتضم العبارة عنصرا يحيل إلى مكان عند الله عز وجل يكمن في لفظة "النار" فليس المقصود بها النار ذات اللهب التي كما نزاها في الحياة الدنيا وإنما المكان الذي يعذب فيه المولى جل شأنه عباده الكافرين، والعاصيين وجاءت العبارة بصيغة النداء لله تعالى لأن بداية الرسالة كانت تضرعا ودعاء من أبي حيان لله تعالى ،ومن ثم بدأيثني على الله بصيغة النداء بحرف الياء.

والمقصود من لفظ النار في هذا السياق هو المعنى الظاهر أي النار المعروفة التي دل عليها القرآن الكريم وهي نار يوم القيامة ولا يعلم مكانها إلا الله عز وجل.

– ولقد وردت لفظة جهنم لنفس المكان إلا أن أبو حيان غير التسمية ،وجاءت هذه العبارة في سياق التقريع والتأنيب للمريد قائلا له:« **جعلوك حطب جهنم وحينئذ لا أبعد الله غيرك** »[3]،وهناك دلالة صوفية خفية يمكن استنباطها من كلام أبي حيان في خطابه للمريد ،حيث بدأ يخاطبه ب « **يا هذا: إنك لمراد بأمر عظيم، ومرشح لسر مكتوم، فالجد الجد** » أراد من مريده وتلميذه لأن يستعد للحياة والأمر الذي يناط به قادم الأيام ألا وهي والولاية والسيادة، أي أنه إذا لم يلتزم ويجتهد فتتقد نيران جهنم في فؤاده لأنه فرط في أمر عظيم لا يتاح لجميع الناس. وجهنم هنا لها دلالة رمزية تتجلى في نار الشهوة واتباع الهوى التي تجعل صاحبها يحترق نفسيا في ترك ما تهواه نفسه ،والبعد عن ملذات الدنيا ،والتجرد والارتقاء بالنفس إلى منازل القدسيين.

---

[1]– الإمام القشيري ،لطائف الإشارات، تقديم وتحقيق إبراهيم بيسوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة 2000، ط2، المجلد الثاني، ص : 533.

[2]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 1.

[3]– المصدر نفسه ، ص : 208.

– وهناك دلالة رمزية تحملها العبارة أهي أنك إذا صرت شيخا، وترقيت في المقامات حتى صار لك مريدون كثر ولم تلتزم بما كنت تمليه على مريدك فقد تكون جسرا يعبر به إلى الجنة ويقذف به إلى النار، أن هذا الأمر صعب إذا لم تكن صاحب إرادة وعزيمة قوية تقهر شهوة النفس، وملذات الحياة الدنيا.

– فإننا نجد من الإشاريات الزمانية في المدونة ما تحيل على مكان واحد أراده أبو حيان إلا أنه أطلق على المكان الواحد مسميات عدة: "**اللهم، لا تحرمنا هذه المقامة في دار المقامة**"،فهو هنا في وضع الدعاء لله تعالى ويسأله عدم الحرمان من دار المقامة ألا وهي الجنة وأما اسم الإشارة (هذه) استعملها في سياق الإشارة للبعيد باعتباره أن دار المقامة بعيدة المنال وهي في العالم الأخروي.

فالمتكلم هنا هو أبو حيان فمعنى (هذه) لا نعرفه إلا بمعرفة مكان التلفظ حتى يتسنى لنا تحديد المشار إليه إذا كان بعيدا أم قريبا.

وسنورد بعض العبارات تحمل ألفاظ لنفس المكان ،إلا أن أبو حيان وجدناه في كل مرة يطلق عليها اسم جديد وبهذا نجده ينوع في المسميات حسب السياق ،والموقف الخطابي الذي كان فيه ومنها:

– « **إلى ذلك المحل العلوي** » [1]،أراد به عالم الآخرة لأن دلالة اسم الإشارة في هذا السياق استعملها للمكان البعيد فالمشار إليه واحد، ودخلت لام بعد على كاف الخطاب للدلالة على البعد[2].

– « **وتحلم بأحوال الدار الأخرى** » [3]، فهنا يخاطب لإنسان الغافل، ويحثه على العمل في الحياة الدنيا ويزجره عن التيقظ فيها و،الحلم في الدر الأخرى محذرا إياه أن الدار الآخرة ليست مجرد أحلام، وأماني وإنما هي عمل وتيقظ.

---

[1]– المصدر السابق نفسه ، ص : 09.

[2]– ينظر، أحمد قبش ،الكامل في النحو والصرف والأعراب، دار الجبيل ،بيروت ،لبنان، ص : 245.

[3]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 258.

– « **المذكور في الملأ الأعلى المأخوذ بيده إلى سدرة المنتهى** » [1]: ونجده كذلك يخوض في أهوال الآخرة ويصفها لمريده في حال دنياهم ، فيرغبه تارة ،ويرهبه تارة أخرى يذكر الأماكن التي عند الله عز وجل، ومن الأسماء التي ذكرها فجلها يحيل إلى مكان واحد: دار القرار،المحل المؤنس، الدار الخالية.

وكغيره من الأعلام الصوفية نجد له، ألفاظ صوفية تتداول في مؤلفاتهم وإشارات ينطقون بها لا يفهمها غيرهم فنجد على سبيل المثال لا الحصر:« **وبفضلك أتحدث في كل مقام وناد** »[2].

– **المقام** :هو المكان الذي يقيم به العارف،وهو القيام بنفسه وقد ذكروا للمقام تعاريف متعددة من أبرزها: مقام بضم الميم يعني الإقامة،ومقام بفتح الميم يعني محل الإقامة،وهذا المعنى في لفظ المفاهيم خطأ،ففي العربية مقام بضم الميم الإقامة ومكان الإقامة, ومقام بفتح الميم يعني القيام، ولا يعني المكان الذي أقيم فيه، فهو طريق الحق وإعطاء الحق حقه في هذا المقام إلى أن يدركه الكمال[3].

وقيل أيضا:« "المقام ما يتحقق له العبد بمنازلته في الآداب، مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف ،فمقام كل أحد موضوع إقامته عند ذلك وما هو مشتغل بالرياضة له،وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى مقام آخر مل لم يستوف أحكام ذلك المقام » [4].

فمن خلال هاته التعريفات ندرك أن المقام الذي قصده أبو حيان هو المقام الصوفي الذي يترقى فيه المريد إلى أن ينتهي إلى التوحيد والحقيقة التامة للتوحيد فسمي المقام مقاما لإقامة السالك فيه ،لأنه بمثابة المكان المعنوي وليس المادي.

---

[1]– المصدر نفسه, ص : 280.

[2]– المصدر نفسه ، ص 232.

[3] –ضياء الدين وآخرون ،مقدمات تأسيسية في التصوف والعرفان والحقيقة المحمدية،دار الهادي للنشر، 2002، ص 23

[4]– ابو القاسم القشيري ،الرسالة القشيرية ، ص 124.

– أما **النادي** فهو المكان الذي يجتمع فيه القوم ويجلسون ،والغالب أن يتفقوا في صناعة أو طبقة[1] فذكره لهذين المكانين، دلالة واضحة على أبو حيان يلهج بذكر الله في حال انفراده في المقام والخلوة ،أوحتى إذا كان مع أقرانه في النادي أي أنه لا يتوقف عن التحدث على المولى عز وجل.

ومن أسماء المكان التي نجدها في المدونة:« **فنهب أنفسنا ليلا يا هذا العالم** » [2]،وكذلك« **أين الاعتبار بهذا العالم القديم بقدرة الناظم؟** » [3]،و« **كذلك إذا نفحت في صدرك نفحة من نفحات روض الأنس من الحاكم الأعلى فارقد عليها** » [4]،فاسم المكان" العالم" له دلالة رمزية عند الصوفية غير الدلالة اللغوية المتعارف عليها.

فالعالم هو الظل الثاني، وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها، فلظهوره بتعيناتها سمي باسم: السَّوي والغير باعتبار إضافته إلى الممكنات إذ لا وجود للمكان إلا بمجرد هذه النِسبة، وإلا فالوجود عين الحق والممكنات ثابتة على عدميتها في علم الحق، وهي شؤونها الذاتية فالعالم صورة الحق، والحق هوية العالم وروحه، وهذه التعيينات في الوجود أحكام اسمه الظاهر الذي هو مجلى لاسمه الباطن[5].

ومن أسماء المكان التي نجد لها صدى واسع في المدونة (الملكوت) ،حيث ورد اسم هذا المكان بصيغة العظمة لله تعالى قائلا:« **ما أشوقني والله أن أرى مريدا له من القراءة ورد(...)ومن التفكر في الملكوت سهم** » [6]،**فعالم الملكوت**:« هو عالم الأرواح ،والروحانيات لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة » [7]، يحث أبو حيان مريده على التدبر والتفكر في

---

[1]– ينظر :إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله الأحمر، المعجم الوسيط ،مادة (ندا) ص : 12.

[2]– التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص :210.

[3]– المصدر نفسه ،ص : 254.

[4]– المصدر نفسه، ص : 96.

[5]– عبد الرزاق الكاشاني ،معجم اصطلاحات الصوفية، ص : 124.

[6]– التوحيدي ، الإشارات الإلهية، ص : 216.

[7]–عبد الرزاق الكاشاني ،معجم اصطلاحات الصوفية، ص : 124.

الملكوت الربانية ،أو الروحانية التي هي بمثابة العالم الغيبي ،والتفكر فيه يزيد المريد خشية وخشوعا وركونا لربه.

فسياق المقام يقودنا مباشرة إلى تحديد وضبط دلالة بعض أسماء المكان لا تتعلق بالكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب،بل ينبغي أن يشمل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات[1].

وبما أن كتاب الإشارات الإلهية عبارة عن رسائل يوجهها أبو حيان لشيخه ،وتارة لمريده سواءا كان هذا المريد عاصيا أو طائعا ،فإن هذا مهم لضبط المقام الذي ترد فيه أسماء المكان ولتتم عملية التواصل والخطاب ،ويحصل التأثير المراد في الخطاب هو اشتراكهما أي المتكلم والمتلقي في معلومات خاصة.

ومن أسماء المكان التي وردت في المدونة بكثرة مستفيضة (الدنيا)، منوعا لها في الأسماء بحسب السياق الذي ترد فيه فهي بذلك تحيل على نفس المكان وفيما يأتي نعرض أمثلة منها:« **لو كانت الدنيا ذهب فإن والآخرة من خزف باق, لكان ينبغي أن يرغب عن الأولى ويزهد فيها** » [2]، فهاهنا ذكرها باسمها المعتاد عند الجميع، لأنه بصدد عقد مقارنة بين ما هو باق وبين ما هو فان فكان لزاما عليه أن يذكرها باسمها المتعارف عليه كما ذكر الآخرة باسمها الحقيقي، لأن أبو حيان في صدد الترغيب ،والترهيب لهذا العبد الغافل الذي طالما كان يناديه ب "يا هذا".

ونجد كذلك عدة عبارات يرد فيها اسم المكان "الدنيا" وهي الحياة التي يعيشها الإنسان أو هي المكان الذي يجتهد فيه العبد ويعمل فيه، فنجد أبو حيان محذرا منها ويحقرها لمريده قائلا له:**أما لك من شراب الدنيا صحو؟**[3]،شبه شهوات، وملذات الدنيا بالشراب الذي يسكر صاحبه ،ويغيب عقله كذلك حال الغافل عن ربه فهو في سكرة وفي غيبوبة ،بهذه المعاصي

---

[1]- ينظر : شريفة بلحوت،الإحالة (دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول ،والثاني من كتاب: cohesion in englhsh) ،د/ هاليدي,، رسالة ماجيستير إشراف الدكتور الحواس مسعودي ،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ،2006/2005م ،ص : 50.

[2]- التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : **254.**

[3]- المصدر نفسه ، ص : 253.

والشهوات،فالصوفية ذموا أحوال الدنيا واحتقروها ،وزهدوا فيها وانقطعوا عن ما فيها من ملذات تفسد النفس،ومن ذلك قوله:« **فأما حالي فسيئة كيفما قلبتها، لأن الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها**[1] » ، فهنا نجده يعترف بتقصيره وسوء حاله ومتهما نفسه بالعجز لأن الدنيا لم تؤتى له فلربما كان حاله غير الحال الذي هو فيه الآن، وبمعنى آخر أن زهده في الدنيا كان نتيجة لظروف قاسية مر بها ولم يكن عن غنى وجاه وحسبٍ،لأن الزاهد الحقيقي هو الذي تعرض لهملذات الدنيا فيغض الطرف عنها ليس كمن هو فقير ويدعي الزهد.

ويقول في موضع آخر:« **زهدوك في الدنيا ورغبت فيها** » [2]،أي أن السادة الصوفية وصفوا لك حقارة الدنيا ودنوها ،إلا أن رغبتك لم تنقطع عنها.

ويقول أيضا: "**واخفاقك ونجحك. حظا من هذه الدنيا المشؤومة**"[3] سبق اسم المكان الدنيا اسم إشارة دلالة على القرب والعنصر الإشاري (هذه) يحيل على المكان، محقرا إياها بلفظ المشؤومة إلا أن القارئ لا يستطيع تحديد المرجع تحديدا دقيقا إلا إذا عرفنا بمكان التلفظ والملابسات المحيطة بإنتاج الخطاب ،فأي شئم يقصده أبو حيان في الدنيا، إن الشئم الذي قصده هو الغفلة ،واتباع الهوى وبهذا يمكننا أن نعرف أن أبو حيان كان في خلوة ربانية ذاق بها حلاوة التعالي والتسامي من مغريات الدنيا، وإلا فإنه كان في غنى عن وصفها بالمشؤومة،فاستعمل اسم إشارة إلى مشاهد محسوس قريب حتى يضع المريد في الجو الذي يريد هو.

2.2/الإشاريات المكانية الظرفية:

[1]- المصدر السابق نفسه ، ص :19.

[2]- المصدر نفسه ، ص :33.

[3]- المصدر نفسه ، ص : 51.

«ظرف المكان هو اسم للدلالة على مكان وقوع الفعل » [1]،والأسماء التي تكون ظرف مكان متنوعة، فمنها ماكان اسم جهة معينة النسبة، لا تعرف حقيقته بنفسه، بل ما يضاف إليه،ولا تختص ظرفيته بحدث دون حدث، ك "مكان" و"ناحية" ،و"جهة" ،و"أمام" و"وراء" ،و"جنوب" ،و"شمال" -بفتح الشين وكسرها- ،و"فوق" و،"تحت" ،و"أسفل" و"قدام" ،و"خلف" ،و"ذات اليمين" ،و"ذات الشمال" ،ونحو ذلك ومن الأسماء« التي تكون ظرف مكان، ما يكون اسم جهة مبهمة، لا تعرف حقيقته بنفسه، بل بما تضاف إليه، ولا تختص ظرفيته بحدث دون حدث ك "عند" ، و"أين" و"لدن" ،و"مع" ،و"خلال" ونحوها » [2]،وقد كان الاستعمال لظروف المكان في المدونة بشكل متفاوت العدد والدلالة ومن دلالات هذه الظروف المكانية ،نورد بعض الأمثلة ،جاء في قوله:« **فأين نصيبي لنفسي؟ وأين نستي إلى بني جنسي؟ وأين موقفي وتوقفي؟ وأين تصرفي وتصوفي؟ وأين تعسفي وتفلسفي؟ وأين ترفقي وتحققي؟ وأين تحرقي وتشوقي؟ وأين بياني وتبيني؟ وأين استنباطي وفطني؟ وأين سناني ومجني؟ وأين أيني وإني؟ وأين كوني وعوني؟ وعيني وعني ومني وكأني** » [3]

ويقول أيضا في موضع آخر:« **إن كان ذاك أو بعضه فأين دلائله وروائده؟ وأين أوائله وعوائده؟ وأين مخايله وشواهده، وأين وسائطه وفرائده؟ بل أين خوافيه وبواديه؟ وأين مقاماته وهواديه؟ وأين توابعه وحواديه؟ وأين الخلع التي يلقيها على مصافيه؟ وأين سرائره التي يستودعها من يتهالك فيه؟** » [4]

ونجده أيضا يقرع ويعاتب هذا الشخص الغافل الساهي بقوله:« **ياهذا: إن كنت مع العلم فأين العمل، وإن كنت مع اليقين فأين الهيبة؟ وإن كنت مع الحياء فأين المراقبة؟ وإن كنت مع الطمع فأين البذل؟ وإن كنت مع كبر الهمة فأين التنزه؟ وإن كنت مع المحبة فأين الاتباع؟ وإن كنت مع الظاهر فأين الأدب؟ وإن كنت مع الباطن فأين الطرب؟ وإن كنت**

---

[1]- يوسف الحمادي،القواعد الأساسية في النحو والصرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1994، ص : 218.

[2]-المتولي علي المتولي الأشرم،الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي ، ص : 28-29.

[3]- التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 342-343.

[4]- المصدر نفسه ،ص : 369.

مع الدعوى فأين السنة؟ وإن كنت من أهل الديوان فأين المنسوب؟ وإن كنت من عند الصاحب فأين الخاتم؟ »[1]

وأين سؤال عن المكان، والأصل بناءه على السكون لوقوعه موقع همزة الاستفهام إلا أنه التقى في آخره ساكنان فحركت النون لاجتماعهما وفتحت طلبا للخفة واستثقالا للكسرة بعد الياء[2].

(أين) ظرف مكان مبني على الفتح استعمل في المدونة استفهاما، ففي المقطع الأول نجد أبو حيان يستفهم ويسأل ليس طلبا للجواب، وإنما أراد من ذلك حالته النفسية التي يشعر بها من ضياع وهيام في العشق الإلهي، فهو لا يسأل عن هذه الأشياء ،وإنما مراد قوله أن نفسه وموقفه وكل شيء هو لله تعالى.

أما في المقطع الثاني فإن أبو حيان يسأل الناس ،إن كانوا حقا طائعين، ومناجين لله تعالى قائلا: "**هل بنسيم حضرته عبقتم؟ هل على نغمات سره طربتم؟ هل بعذوبة مناجاته تلذذتم؟ هل بحقيقة محبته خصصتم؟ ثم يقول إن كان ذاك أي ما ذكره أو بعضه فأين دلائله وروائده**"،يعني إن كنتم صادقين فيما تدعون ،أين دليل عملكم هذا وأين آثار حبكم لله ،وأراد بهذا الاستفهام التوبيخ ،والتقريع لهؤلاء الناس الغافلين ،ومن ثم يؤكد قوله على زعم هؤلاء الناس بقوله "**فلا أجسامكم تحلت بالعبادة، ولا قلوبكم ارتاحت في طلب الزيادة ،ولا صدوركم صرفت عن الهوى بصدق الإرادة**".

- وفي المقطع الثالث، كان خطابه موجها للشخص الذي كان يخاطبه في كل الرسائل (يا هذا)،ودلالة ظرف المكان (أين) هنا دلت على الأعياء والتعب[3] لأن أبو حيان يسأل ولا يريد جوابا ،وإنما أراد أن يقول لهذا الغافل أنك إن كنت عالما غير عامل فأنت تتعب نفسك وتعييها، وفي نفس الوقت يحثه على أن يصاحب كل صفة ،وكل خصلة من هذه الخصال ،بعمل في الواقع حتى يخرج من محل الشبهة التي قد تطوله ،بأنه مدعي وغير صادق فيما يقول ويفعل.

---

[1]- المصدر نفسه ،ص : 305-306.

[2]- ينظر :المتولي علي المتولي الأشرم، الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي ،ص :227-228.

[3]- ينظر :ابن فارس، معجم مقاييس اللغة, ج1، ص :167.

ومن الظروف المكانية التي نجدها في المدونة بدرجة متفاوتة ظرف المكان "حيث" وهو ظرف مبهم من الأمكنة،وتحمل الدلالة على الظرفية المكانية، وتقع على الجهات الست وعلى كل مكان وحيث من الظروف المكانية التي يندر تجردها من الظرفية،وهي ملازمة للإضافة فهي من الظروف الإضافية التي لا يتضح معناها إلا بالإضافة،وتنفرد وحدها من بين ظروف المكان بالإضافة للجملة فلا تكاد العرب توقع بعدها المفرد بل تبنيها بالجملة[1].

ومثال ذلك في قوله:« **وطعنه الآزف إلى صراط الله المستقيم، ومقامه الأمين،حيث لا خوف ولا حزن ولا أنس ولا حنين،حيث قرار معين، ومكان مكين** » [2]يعني أن عند مقام الله لا فيه خوف ،ولا حزن بل نعيم مقيم ،ومكان أمين، وجاءت "حيث "هنا للدلالة على المكان الذي عند الله تعالى ووردت مبهمة أيضا ودالة على كل مكان فيقوله :« **ولا نجمت لي نجاة إلا من حيث لم أحتسب** » [3].

ووردت دالة على مكان بعينه في قوله :« **إلى محل لا يعتريك فيه ملل، ولا ينتابك فيه علل، حيث تنسى فيه الحزن حسا ورسما، حيث يحكمك المولى فتحمك،ويدنيك إلى حضرته فتنعم،حيث لا يلتهب لك في صدرك نفس, ولا يخمد بين يديك قبس** » [4]وجاءت إضافتها هنا للفعلية أي أنه عندما يكون في هذا المحل الذي أراده أبو حيان ،وهو الجنة أنه ينسى أحزانه ،وينعم بهذا الهناء والراحة.

تتفاوت الظروف المكانية في المدونة حسب السياق الذي ترد فيه ،وسنورد بعض الأمثلة لبعض الظروف التي جاءت متناثرة في خطاب أبو حيان الصوفي ومنها في قوله :« **لأنهم كانوا يأخذون التراب من تحت قدمك،ويكتحلون به عند الرمد** » [5]،ويقول أيضا في موضع

---

[1]- ينظر:المتولي علي المتولي الأشرم، الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي، ص : 223-224.

[2]- التوحيدي ،لإشارات الإلهية ،ص :379.

[3]- المصدر نفسه ، ص : 392.

[4]- التوحيدي ،لإشارات الإلهية، ص : 359.

[5]- المصدر نفسه ،ص : 53 .

آخر« **وتحت هذه الحال ظروف من المحنة، وفنون من الفتنة،أدناها تظن أنك مقيول وأنت مردود، وتحسب أنك موصول وأنت مطرود** » [1].

(تحت) ظرف مكان مبهم فلا يتبن معنا إلا بالإضافة، وهو نقيض فوق معناه: الدلة على أن شيئا أسفل من حسا أو معنى[2].

– في المقطع الأول يشيد بشيخه وببركته ،بأن السادة الصوفية يأخذون تراب قدميه أين ما حل وارتحل أي أن، المكان الذي تطئه قدمه مبارك.

–أما المقطع الثاني جاءت دلالة ظرف المكان (تحت) معنوية ،وذلك أن هذه الحال الروحانية والنفسية التي هي من صفات السادة الصوفية هي بمثابة السقف ،أو الشيء المرتفع ويأوي تحته كل شيء.

–وجاءت كذلك بهذا المعنى في قوله :« **وتحت راية من مرينا ومرنا** » [3]يتساءل هنا مع من كان ،وفي خدمة من، وفي هذا تعبير عن حالته النفسية التي تبدو حائرة وتائهة ،ولا تعرف إلى أي وجهة تسير لأنه ابتدأ قوله بعبارة: **أين نحن ويحك؟ وفي أي شيء كنا؟** ...

ومن الظروف المكانية التي نجد لها صدى كبير في المدونة ظرف المكان (فوق) ،« ظرف مكان مبهم وهو من أسماء الجهات،وهو من الظروف الإضافية التي لا يتحقق معناها إلا بالإضافة، ويدل في أصله على العلو والارتفاع » [4]، وهو يحمل عدة معاني يحددها السياق الذي يرد فيه هذا الظرف ،وجاء في المدونة مختلف الدلالة ففي قوله مثلا: **"هل فوق العشق نهاية"** دلالته معنوية ورمزية لأن العشق الرباني الذي عند الصوفية ،هو حالة نفسية وأنه أعلى مراتب الحب والذوبان في الذات الإلهية، وأن العشق الإلهي ببساطة هو السلام الداخلي، والمعنى الحقيقي لقوة الحب التي تصنع المعجزات لأن النفوس أسرار لا يعلمها إلا الله[5]، فأبو حيان

---

[1]– المصدر نفسه، ص :185.

[2]–المتولي علي المتولي الأشرم ،الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي، ص : 322.

[3]– التوحيدي الإشارات الإلهية، ص : 329.

[4]– المصدر نفسه، ص : 189.

[5]– نهى محي الدين ،في العشق الرباني ،دار الحكايات للطبع، القاهرة ، ص : 20–21.

يسأل ويناجي المولى إن كان فوق هذا العشق والمحبة شيء أعلى منه كي يرتقي إليه ويصل إلى ركنه.

-وجاءت بمعنى الأفضلية في قوله« **إلهي: كل ما أقوله فأنت فوقه** » [1] ومعناها أن كل وصف أبو حيان لله تعالى وتمجيد وتعظيم لا يساوي شيئا قليلاً من جمال المولى ،وعفوه ورحمته ،أي أنه فوق كل الأوصاف والأقوال.

-وفي قوله كذلك ،وردت بهذا المعنى« **لأنك فوق كل نعت، وفوق كل مظنون بظن، وفوق كل موصوف بوصف، وفوق كل معقول بعقل** » [2].

-ونجد كذلك ظرف المكان (وراء) في المدونة كما أن له دلالات حسب السياق الذي يرد فيه، وهو من الظروف التي تبين دلالتها إلا بعد الإضافة وهو من المبهمات، أي من أسماء الجهات، نقيض أمام يدل على أن شيئا خلق شيء[3].

ولقد رصدناه في المدونة في عدة مواضع نذكر منها:« **ثم أين أنت عما وراء ذلك مما لا يبدو إلا بإذن الحق الذي أخفى الخوافي في البوادي ،وأبدى البوادي في الخوافي** » [4] جاء ظرف المكان هنا بمعنى سوى أي عما سوى ذلك.

-وجاءت بمعنى الظرفية المطلقة في قوله :« **أوليت من نبذني وراء كل شيء من علي بشيء** »[5]،أي تركه في مؤخرة كل الأماكن المادية ،منها والمعنوية.

-ونجد كذلك في المدونة العناصر المكانية المبهمة ،والتي تتمثل في أسماء الإشارة: "هذا"، و"هذه"، و"تلك" ،و"ذا" ،و"هناك"

---

[1]- التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 209.

[2]-المصدر نفسه ، ص : 330.

[3]- سيد عبد الحميد مصطفى ،مسائل النحو والصرف في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، مدخل لدراسة نحو النص، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان،2002، ص : 240.

[4]- التوحيدي ،لإشارات الإلهية، ص : 70.

[5]- المصدر نفسه ، ص : 205.

-ومن أمثلة ذلك قوله:« **وهذا مقام ما وقف عليه أحد إلا زلت قدماه، وجهل عنه مأواه، واعتاض دونه منتهاه،وذبلت دون الري به شفتاه** » [1]، في هذا المقطع عنصرا إشاري يتمثل في اسم الإشارة (هذا) ،مكون من شطرين الهاء للتنبه ،وذا للإشارة فمن خلاله أراد أن يشير إلى نوع من المقامات الصعبة التي لا يرتقي إليها إلا القلة القليلة من الصوفية ،منبها إياه في نفس الوقت عن صعوبة هذا المقام وأنه ما وقف عليه أحد إلا زلت قدمه.

-ونجد هذا العنصر الإشاري دالا على المكان في قوله :« **أيها الصاحب المستأنس بهذا الفن، المسافر إلى هذا الوطن،الساكن في هذا الموطن** » [2].

والوطن هنا لا يعرف أي وطن بعينه جاء على الصيغة الإطلاقية،فزمان ومكان الخطاب وعلاقة المخاطب بالوضعية التواصلية وبالسياق الذي يجري فيه الخطاب, مرتبطا بالدلالة التي يريد إرسالها المتكلم إلى المتلقي[3].

-ومن العناصر الإشارية التي في المدونة "هذه" جاء في قوله« **دعنا في هذه الزاوية الحرجة حتى نتشاكى ونتباكى**[4]،والزاوية هي:« من البناء ركنه، لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناحيتين والمسجد الجامع ليس فيه منبر، مأوى للمتصوفين ،والزهاد، والفقراء » [5].

فالمشار إليه في هذه العبارة هو المكان الذي يتعبد فيه المتصوفة، وهي زاوية بعينها قصدها أبو حيان وأشار إليها لمريده ومن أسماء الإشارة الدالة على المكان قوله :« **هناك هناك،وما أدراك ما هناك؟ هناك غيث رذاذه وابل، وقليله كثير، وصعبه منقاد...** » [6]،في هذه العبارة إشارة للبعيد لاستعماله اسم الإشارة "هناك"، وهي إشارة للمكان الذي فيه النعيم المقيم ألا وهو الجنة لأن بعد الدنيا على الجنة بعد زماني، ومكاني.

---

[1]- المصدر نفسه ،ص : 186.

[2]- المصدر السابق نفسه ,،ص :364.

[3]- ينظر :حمو الحاج ذهبية ،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب ،ص : 170.

[4]- التوحيدي ، الإشارات الإلهية، ص : 364.

[5]- ينظر : المعجم الوسيط/ مادة :زات ،ص : 408.

[6]- التوحيدي ،الإشارات الإلهية، ص : 287.

أسماء الإشارة في المدونة كثيرة، وهذا ما يوضح أهميتها في الخطاب الصوفي عند أبو حيان التوحيدي، وفي الخطاب الصوفي بشكل عام، وهي من الأساليب اللغوية التي تمكن من خلالها للصوفي أن يبين ما يجول في خاطره ونفسه،وهذا من إبداع المتصوفة في لغتهم« إذ لا يمكننا تحديد وضعية الأشياء ما دام الكلام يتخذ ويحتمل أدبية معينة، فالحديث كان يدور حول أشياء مجردة لا يمكن تحديد وضعيتها وهي مجسدة في الواقع ،ولا وجود للشخصيات الخطابية حتى نموقعها في وضعية تتضح فيها المبهمات الإشارية والظرفية بصفة جلية » [1].

3/الإشاريات الخطابية (النصية):

« تتمثل في العبرات التي تذكر في النص، مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم فقد يتحيز في ترجيح رأي على آخر أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول: "ومهما يكن من أمر" وقد يحتاج أن يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه فيستخدم: "لكن أو بل"، وقد يعني له أن يضيف إلى ما قال شيئا آخر فيقول: "فضلا عن ذلك" وقد يعتمد إلى تضعيف رأي فيذكره بصيغة التمريض: "قيل" وقد يريد أن يرتب أمرا على آخر فيقول: "من ثم"(...)وهذه كلها إشاريات خطابية خالصة »[2].

ومن نماذج الخطاب لهذا النوع من الإشاريات،قول التوحيدي في معرض الدعاء لله تعالى إذ يقول:« **اللهم: حققنا فيما نتصدى مخبرين عنه، وحققه فينا إذا حاولنا أن نستفيد منه، وبينا حتى نستعد لخدمتك، أبنا منا حتى نصلح لمحبتك،وأرنا منك ما يستوفيك في غوامض معرفتك، ومهما سبق من تقصير في ذكرك،ومصيرا إلى أمرك،وتشاكس في الصبر على بوادي قدرتك،فتغمده بسترك وامحه بتجاوزك** » [3].

يخاطب التوحيدي ربه ويدعوه بكلام يعد النموذج الأمثل للخطاب الصوفي ومناجاته لربه، إذ تتجلى قيم عديدة في هذا المقطع من الخطاب، منها قيم المحبة والتعظيم لله تعالى، فهذا الموقف التواصلي استلزم استعمال إشاريات الخطاب من أجل تحقيق هدف الخطاب،وذلك بفعل سياق المقام الذي تلفظ فيه المتكلم بهذا الخطاب ،أما الهدف يتمثل في مقصدية التوحيدي من هذا

---

[1]- ذهبية حمو الحاج ،لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص : 171.

[2]- محمد محمود نحلة، آفاق في البحث اللغوي المعاصر، ص : 25.

[3]- التوحيدي ، الإشارات الإلهية، ص : 184-185.

الدعاء الذي يعزز علاقته بربه وتحقيق التفاعل والتناغم، من خلال هذا الملفوظ، ومثلت هذه الإشاريات الخطابية العنصر الأساسي في الخطاب،وإبراز العلاقة بين المتكلم والمخاطب من خلال هذه الحالة الوجدانية التي عبر عنها التوحيدي في معرض هذا الدعاء.

-ويقول في موضع آخر مخاطبا الله تعالى:« **أنت علم الكون،ومال الدهر،ومصرفا لكل،ومقلب الكل، ومبدي الدق والجل، بل أنت الموجود في كل شيء لا كما يوجد ما دام بك وافتقر إليك، ولكن كما توجد أنت، وليس واجدك سواك، ولكن سواك واجد بك[وواجد لك] وواجد منك** » [1].

البعد التداولي للعناصر الخطابية "بل"،و "لكن" في هذا الخطاب المبالغة في التعظيم والتبجيل للمولى ،وذلك باستعمال أدوات الربط النصية فالإشارات الخطابية استلزمت فعلا إنجازيا هو وجودية الله تعالى وانعدام الخلق بل غيره واجد به،وحققت "لكن" الاستدراك بمجيء الكلام بعدها مخالفا لما قبله، فهذا التناقض بين الكلامين هو الذي يحقق الاستدراك ويعطيه دلالة غير الدلالة النصية المتعارف عليها فهذا الاستدراك يقوي حجة المتكلم ويؤكد كلامه وهذا ما يرسخ اليفين لدى نفس المتكلم.

-ويخاطب التوحيدي مريده محققا القيمة التداولية التواصلية في مضمون خطابه، حيث يقول له:« **أما تستحي ممن خلقك فسواك، وأرشدك فهداك، وتممك وقواك وأعطاك هناك، ثم وعدك ومناك ، ثم خصك، واجتباك، ثم علاك وحلاك، ثم رفأك وحياك،ثم ملكك وولاك، ثم أحضرك وأواك، ثم استخلصك وتولاك؟ فأي أياديه قد شكرت؟ وأي آلائه قد نشرت أم أي إحسانه ذكرت؟ هيهات هيهات،إنك ي ضلالتك القديم، وخبالك العظيم** » [2].

يذكر التوحيدي مخاطبه بآلاء ونعم ربه ،وفضله عليه مستعملا بذلك قرينة لفظية أفادت ترتيب هذه المنح، وتجلى هذا الترتيب في العنصر الإشاري الخطابي "ثم" ،الذي مكن المتكلم من توسيع الخطاب من خلال عطف الجمل على بعضها البعض، ويعتبر هذا النوع من الربط وسيلة من الوسائل التي يتحقق بها الاتساق النصي.

---

[1]- المصدر السابق نفسه ، ص : 203.

[2]- المصدر نفسه ، ص : 200.

وأفاد العنصر الإشاري الخطابي "ثُم" الترتيب التصاعدي في هذا الخطاب ،لأن المتكلم كلما يتلفظ بجملة يستأنفها بجملة أخرى، تحوي أحداثا ووقائع أفضل من سابقاتها لأن المتكلم بدأ خطابه للمتلقي من بداية خلقه، إلى أن استخلصه الله وتولاه وهي منزلة رفيعة، الى أن بدأ التوحيدي يعاتب ويقرع مريده بأسلوب الاستفهام، حتى خلص في الأخير إلى نتيجة مفادها أن مخاطبة ،رغم كل هذا الفضل الذي اختصه الله به، إلا أنه مازال ضالا ومخبولا.

ومن الإشاريات الخطابية التي كان لها استعمال واسع في المدونة، وساهمت في ربط النص وسبكة،العنصر الإشاري "بل" ومما جاء في قوله:« **يا هذا: أما ترى كيف أخرجك وسواك، وكيف أوقد عليك وأطفئ عندك، وكيف أبسط رجاءك،وكيف أقبض قنوطك؟ له تظهر لك واستظهار معك، لأن العادة خبيثة، والقرين مهلك، والجار حاسد، والصاحب مريب, وهذه أشياء تتزيل عنك إلا بانسلاخك منك: والقول في هذا الباب سهل على المسمع, ولكن تحقيقه صعب في المرأى، ولن يتم ذلك إلا بعزيمة الأواهين المنين، بل لا يتم إلا بوثبة الأقوياء المعتزمين بل لا يتم إلا بانتهاز فرصة اليقين على هدى المتقين، بل لا يتم إلا بإخلاص الموفقين المخصوصين، بل لا يتم إلا بشعار المخبتين المهتدين، بل لا يتم إلا بجود رب العالمين الذي هو غاية الطالبين من العالمين** » [1].

هذا النموذج من الخطاب الذي توجه به التوحيدي لمتلقيه، هو عبارة عن تذكير وتنبيه هذا الشخص مرهبا إياه تارة ،ومرغبا إياه تارة أخرى، ثم أخذ يبين له أن انسلاخه من نفسه والإعراض عن شهواتها لن يتم إلا بأمور عددها له باستعمال العنصر خطابي "بل" والذي جاءت دلالته في هذا الخطاب إضرابا عما ذكره التوحيدي ،وإثباتا لما تلفظ به إلى آخر جملة أثبتها وأكدها،أي أن انسلاخ هذا المخاطب من نفسه لن يتم بالأمور لتي عددها ، وإنما يتم بتوفيق وجود رب العالمي،مفاد خطابه ، أن العبد إذا لم يوفقه الله إلى البر وأعمال الخير، لن يعمل شيئا فالتوفيق من رب العالمين ومن أمثلة "بل" نجدها أيضا في قوله:« **وزن واتزن،واخضع واستكن، وتمهد واستمكن، كل حادث فادح، وفي كل مغلق وفاتح، إلى**

[1]– المصدر السابق نفسه ،ص : 351.

ربك بل كن معه وعنده حتى لا تحتاج إلى الرجوع إليه، وإذا وردته فلا تصدر عنه، وإذا صدرت عنه فلا تنسه » [1].

نجد أن مضمون الكلام قبل "بل" مخالف للذي بعدها ،فقبلها عبارة عن نصائح بصيغة الأمر يقدمها التوحيدي للمريد خاصة بسلوكه وبدايته، في طريق القوم، وما هي السبل الموصلة إلى الله فقال قبل هذا الكلام:« **واكتحل بالسهر، واغر بالفكر، وحرم على بالك الهوينا والكسل، وارجع إلى الله في كل حادث** » ،ثم عرج بالعنصر الخطابي "بل" والذي جاء به نتيجة هذا الأمر، وهو أن تكون مع الله وعنده، قال أيضا "لا تحتاج إلى الرجوع إليه" بعد "بل" بعد أن قال قبلها وارجع في كل حادث فادح.

-وقال أيضا:« **وقد قيل: الغريب من جفاه الحبيب, وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحسيب، بل الغريب من تغافل عنه الرقيب، بل الغريب من حاباه الغريب** » [2].

فالغريب عند السادة الصوفية، وعند "التوحيدي" في طيات المدونة، من لا وصول له ولا سير له في طريق الله، وهو كما وصف بأنه من جفاه الحبيب ،ولكن "التوحيدي" استدرك على ما سبق ب "بل" وقال أن الغريب هو الموصول المحبوب لدى محبوبه.

– وقد وردت صيغ التمريض في المدونة بالعنصر الخطابي قيل" الذي حمل عدة دلالات كل منها حسب السياق الواردة فيه ومن ذلك قوله:« **الجهات دوني منسدة، والوجوه أمامي مسودة، إن قلت، قيل: هذا زور وبهتان، وإن أشرت، قيل: هذا بور وعدوان، وإن سكت قيل: هذا سهو ونسيان** » [3].

– ففي هذا الخطاب يعبر التوحيدي بصيغة التمريض ،والتي استعملها في إضعاف رأي خصومه ،ومنافسيه في شخصه، فلم يسلم التوحيدي من هؤلاء الخصوم ولا سبيل له عليهم إلا بحجابهم وتمريض أقوالهم ،وإضعافها بهذا الأسلوب لذي انتهجه في المدونة.

---

[1]– المصدر نفسه ، ص : 06.

[2]– المصدر السابق نفسه ، ص : 81-82.

[3]– التوحيدي ،الاشارات الإلهية، ص : 205.

نلاحظ أن إشاريات الخطاب من عناصر الاتساق وأدواته، إذ هي تعطي لنص تماسكه والتحامه ارتباطه واستقراره واستمراريته.

ومن خلال إشاريات الخطاب، ندرك الانسجام في العلاقة التي بين النص المتلقي، حيث هي التي تحدد البنية الدلالية للخطاب والمقصد من الخطاب.

خـــــــاتمـة

خاتمة :

بعد الفراغ من دراسة المدونة الموسومة ب"**الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي**"نجدها ثرية بألفاظ الصوفية ومصطلحاتهم وإشاراتهم، فمن خلال هاته الدراسة التداولية لهذا الكتاب، أدركنا خبرة التوحيدي وتضلعه بالبيان واللغة الصوفية، حيث جاءت تعبيراته ومصطلحاته في معانيها لما عندهم.

وفي الأخير ووصولا إلى نهاية هذا البحث وبعد الغوص في لجة هذا الموضموع المعنون ب "**الإشاريات في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي**" والذي عسى أن يكون إضافة وزيادة في إحياء البحث اللغوي في التراث العربي القديم ومن هنا ووفق ما قدمناه يمكننا القول أن المذكرة قد خرجت بجملة من النتائج نذكرها على النحو التالي:

1-توجه أبو حيان التوحيدي توجها صوفيا سنيا وهذا بارز في خطاباته في المدونة فلم يستعمل العناصر الإشارية الأدلة على الحلول والاتحاد خالف بعض الصوفية.

2- كان استعمال أبو حيان لبعض العناصر الإشارية في بعض المواطن أقرب إلى معاني الامتزاج والاتحاد مع المخاطب إلا أنه اتحاد معنوي مجازي لا حقيقي في "أدرجوا كلي في كلكم".

3- استعمل أبو حيان التوحيدي المطابقة في الضمائر فيبعض الاحيان ك "**كنتم اياي في هذا الذكر الجامع**" و "**كنت أنا السامع وأنا المتكلم**" والتي توحي لوجود اتحاد وحلول فيها إلا أنها عبارة عن تبادل أدوار بينه وبين المخاطب،وهذا واضح من خلال السياق.

4- ظهر أبو حيان بمرتبة المريد المقصر ،وقد ظهر هذا في اتصال ضمير المتكلم "**نا**" العائد على ابي حيان في عدة كلمات منها "**حيرنا ،اوحشنا**" وغير ذلك من الكلمات التي تدل على التقصير والضعف ، وكذلك ظهر بهذه المرتبة في ندائه واستغثته بالشيخ ،والقوم ،وبالضمير أنتم في "**ياقوم فإن لم تأخذوا بيدي فإلى من أكل أمري**"وفي "**أنتم أهل صبوحي وغبوقي**"

5–ظهر أبو حيان بصفة الشيخ بنصحه للمريد في عدة مواطن ،وغالبا ما يكون النصح بعد مناداته ب "**ياهذا**" ، وكذلك وورد ضمير الجمع "**نحن**" الذي يحيل على ابي حيان في "**يا هذا: أين نحن؟ حدثنا عنا فقط طحنا منا، هذا وليس لنا من هذا الديوان إلا الحديث**"فمن خلال رسائل المدون نجد أن هذا الحال لا يكون الا للشيخ الواصل .

6 – تميز خطاب التوحيدي في مجمله بشيوع الإشاريات الشخصية والتي أخذت الحيز الكبير من المدونة، ويدل هذا على تعدد المواقف التواصلية والتخاطبية، والتي كانت بين التوحيدي ونفسه مرة وبينه وبين ربه مرة أخرى، وبينه وبين شيخه ، وبينه وبين المريد فالتوحيدي في أغلب مخاطباته كان ملتزما بتوجيه الخطاب إلى أحد هؤلاء ونلخصها في:

– ضمير مفرد المتصل للمتكلم "**أنا**" الذي يحيل على أبو حيان التوحيدي والضمير الجمع المنفصل للمتكلم "**نحن**" والذي يحيل على جماعة من المتكلمين، وعلى الله تبارك وتعالى حكايتا عن أبي حيان التوحيدي.

– ضمير "**إياي**" يحيل على أبي حيان التوحيدي وضمير "**إيانا**" يحيل على أبي حيان والمريد الذي لم يمعن في طريق القوم.

– ضمير المتصل للمتكلم "**نا**" يحيل على أبي حيان التوحيدي جماعة من المتكلمين.

– ضمير المتصل للمتكلم "**ي**" يحيل على أبي حيان ويحيل على الله تبارك وتعالى.

– ضمير مخاطب "**أنت**" يحيل على الله تبارك وتعالى، والشيخ الصوفي، والمريد الذي لا سلوك له.

– ضمير المخاطب للجمع "**أنتم**" يحيل على القوم، والمعادون للأولياء الله (المنكرين).

– ضمير المخاطب المتصلة "**ك**" والذي يحيل على الشيخ الصوفي، والقوم، والمريد الذي لم يمعن في طريق القوم وضمير "**ت**" يحيل أيضا على المريد.

– ضمير الغائب المنفصلة "**ه**" تحيل على الله تبارك وتعالى، والمريد.

– ضمير الغائب المنفصلة "**هي**" تحيل على الحال أو الحضرة الأزلية أو المحبوب.

- ضمير "**الها**" للغائب يحيل على الله تبارك وتعالى.

- جاء النداء ب "**يا**" النداء للبعيد، و "**أي**" للقريب.

7- جسدت الإشاريات الخطابية في المدونة العلاقة بين طرفي العملية التخاطبية وموقف المتكلم، حيث كانت له السلطة في توجيه الخطاب لمتلقيه، وذلك باستدراك على كلام سابق، أو إضراب عنه وكان ذلك كله باستخدام العناصر الإشارية (لكن، بل،ثم،مهما).

8-ساهمت الإشاريات المكانية في مواضيع كثيرة من المدونة في تحديد مقصدية التوحيدي، وجاءت معظم دلالات أسماء المكان ذات دلالة صوفية خالصة فمنها: الزاوية، والمحل الاعلى، والمسجد، كما وجدنا أسماء الإشارة بنوعيها البعيد والقريب، وذلك كله يرجع إلى السياق الذي ترد فيه.

9-أما الإشاريات الزمانية جاءت متنوعة في المدونة، فقد استعمل التوحيدي عدة عناصر إشارية منها المبهمة ك "الآن، الحين، الوقت" وغير المبهمة ك "الليل، النهار، الأمس، السنين" إذ لا تفهم إلا بالرجوع إلى السياق الذي قيلت فيه.

10-لم يقتصر الكشف عن دلالة العبارة الصوفية دراسة العناصر الإشارية فيها بل يمكن ذلك من خلال دراسة الرمزية في السيمائيات والانزياح الدلالي ،والكنايات ،والاستعارات وغير ذلك من الإجراءات.

وفي الأخير نسأل الله تبارك وتعالى أن يكلل هذا العمل بالقبول وأن ينفع به القارئ والسامع والله ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-الكتب العربية

القران الكريم برواية ورش عن الامام نافع

1) إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله الأحمر: المعجم الوسيط ، الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.
2) ابن منظور : لسان العرب، ، دار صادر، بيروت، د.ت.
3) أبو القاسم القشيري، لطائف الإشارات: تحقيق إبراهيم بيسوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 2000م.
4) أبو حيان التوحيدي :الإشارات الإلهية ، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1982م.
5) أبو مدين الغوث، عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ص 120.
6) أحمد بن فارس: مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة، 1989.
7) أحمد فهد صالح شاهين :النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2015.
8) أحمد قبش :الكامل في النحو والصرف والإعراب، دار الجيل، بيروت، د.ت.
9) الأزهر الزناد :نسيج النص "بحث فيما يكون به الملفوظ نصا"، المركز العربي الثقافي، بيروت، ط1، 1993.
10) الإمام أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، مطابع مؤسسة الشعب، القاهرة، 1989م.
11) أميرتو إيكو،التأويل بين السيمائيات والتفكيكية: ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2004م.
12) أيمن حمدي:قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.

13) أيمن علي عبد اللطيف :عبقرية النثر العربي "دراسة لغوية تحليلية في كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي في ضوء علم اللغة الحديث"، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

14) ج. بول، ج. براون :تحليل الخطاب ، ترجمة محمد لطفي، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 1997.

15) جار الله الزمخشري :أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

16) جلال الدين السيوطي:تنبيه الغبي في تنزيه ابن العربي،تحقيق ، عبد الرحمان الوكيل، وقفية الأمين ازي للفكر القرآني، معهد الثقافة، جامعة طوكيو، اليابان، ص3.

17) جواد ختام :التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، عمان، ط1، 2016.

18) جورج بول :التداولية ، ترجمة قصي العتابي، دار العربية للعلوم، بيروت، د.ت.

19) حمو الحاج ذهبية :لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، ط2، 2012م.

20) خليفة بوجادي : في اللسانيات التداولية "مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم": ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط2، 2012.

21) الذهبي شمس الدين : سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1982.

22) الراغب الأصفهاني :المفردات في غريب القرآن، تحقيق مركز الدراسات والبحوث، مكتبة نزار مصطفى، د.ت.

23) سيد عبد الحميد مصطفى: مسائل النحو والصرف في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، مدخل لدراسة نحو النص، دار الإسراء للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.

24) ضياء الدين وآخرون :مقدمات تأسيسية في التصويف والعرفان والحقيقة المحمدية، دار الهادي للنشر، 2002م.

25) عبد الرزاق الكاشاني :معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العال شاهين، دار المناد، القاهرة، ط1، 1995م.

26) عبد السلام المسدي :التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1986م.

27) عبد المنعم الحنفي :معجم المصطلحات الصوفية، دار المسيرة، بيروت، ط2، 1987م.
28) عبد الهادي ظافر الشهدي: استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية" ، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ط1، 2004.
29) فضاء دياب غليم الحسناوي: الأبعاد التداولية عند الأصوليين "مدرسة النجف الحديثة أنموذج ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 2016.
30) فيليب بلانشيه :التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، سوريا، ط1، 2007.
31) كريم زكي حسام الدين :الزمان الدلالي "دراسة لغوية لمفهوم الزمان وألفاظه في الثقافة العربية"، دار غريب للطباعة، القاهرة، ط2، 2002م.
32) المبارك الجزري بن الأثير :النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمود محمد الطنابي، طاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، ط1، 1963.
33) المتولي علي المتولي الأشرم :الظرف خصائصه وتوظيفه النحوي، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، د.ت.
34) محمد بن عبد القادر الرازي :مختار الصحاح ، تحقيق مصطفى ديب، دار الهدى، الجزائر، ط4، 1990.
35) محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، دار الفرقان، ط1، 1985.
36) محمد سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية، دار الفرقان، ط1، 1985م.
37) محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط10، 2009م.
38) محمد عمارة برج :أبو حيان التوحيدي بين الزندقة والإبداع ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1997م.
39) محمد فاضل السامرائي :النحو العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 2014م.
40) محمد كرد علي : أمراء البيان ، مكتبة الثقافة العربية، بور سعيد، ط1، 2012.

41) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م

42) محمود عبد الرحمان عبد المنعم :معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.

43) محمود عكاشة :تحليل النص "دراسة الروابط النصية في علم اللغة النصي"، مكتبة الرشد، ط1، 2014.

44) المرزوقي الأصفهاني :الأزمنة والأمكنة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.

45) مسعود صحراوي :التداولية عند العلماء العرب ، دار الطليعة، بيروت، ط1، ط1، 2005.

46) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ،صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث 2622 ج

47) نادية رمضان النجار :الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 2012.

48) نرجس باديس :المشيرات المقامية ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2009م.

49) نصر الدين فارس الجليل زكريا، المصنف في النحو واللغة والإعراب: دار المعارف، حمص، ط2، 1990م.

50) نعمان بوقرة، المصلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب،جدار للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2009.

51) نهى محي الدين :في العشق الرباني، بيت الحكايات، القاهرة، د.ت.

52) ياقوت الحموي :معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993.

53) يوسف أبو العدوس :مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان، ط1، 2007م.

54) يوسف الحمادي وآخرون: القواعد الأساسية في النحو والصرف،الهيئة العمة لشؤون المطابع الأمرية، القاهرة، 1994م.

2- الرسائل الجامعية

1) آمنة لعور: الأفعال الكلامية في سورة الكهف "دراسة تداولية" مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، تخصص دراسات لغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010.

2) أميرة محمد غيث: الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي "دراسة لغوية" مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة، جامعة الزقازيق، مصر، 2005/2004.

3) شريفة بلحوت: الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني منكتاب: « Cohesion in English » ل م.أ.ك هاليدي ورقية حسن، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير تخصص ترجمة، جامعة الجزائر(1)، 2006/2005.

3- الدواوين الشعرية

1) ديوان أبي الحسن الششتري، تحقيق محمد العدلوني الإدريسي، سعيد أبو الفيوض، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 2008م.

4- المقالات

- باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، -أبحاث في اللغة والأدب الجزائري- بسكرة، ع7، 2011.

- طه عبد الرحمان: سؤال اللغة والمنطق حوار مع طه عبد الرحمان، سلسلة رسائل طابة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، رقم1، 2010.

- نوال بومعزة: محاضرات في تحليل الخطاب، مطبوعة مقدمة لطلبة السنة ال ثانيةLMD جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2013/2012.

الفـــهرس

الاهداء

الشكر و العرفان

الملخص

مقدمة :.....أ

فصل تمهيدي : المفاهيم الأساسية للبحث.

أولا: تعريف التداولية لغة واصطلاحا.....7

ثانيا: الخلفية الفلسفية للتداولية.....9

ثالثا: تعريف الإشاريات 15

رابعا: مفهوم السياق وأنواعه.....17

خامسا: تعريف الخطاب.....18

تعريف بعض المصطلحات الصوفية في المدونة.....21

الفصل الأول: الإشاريات الشخصية والاجتماعية في المدونة

أولا: التعريف بالمدونة.....26

أ- التعريف بصاحبها.....26

ب- الخطاب الصوفي.....30

ثانيا: الإشاريات الشخصية.....31

1- الضمائر.....32

1-أ- ضمائر المتكلم.....32

1-ب- ضمائر المخاطب.....41

1-ج- ضمائر الغائب.....48

2- النداء.....51

ثالثا: الإشاريات الاجتماعية.....58

الفصل الثاني: الإشاريات الزمانية والمكانية في المدونة

أولا: الإشاريات الزمانية.....65

1-ب- الظروف المبهمة.....66

1- أ- الظروف غير المبهمة.....72

ثانيا: الإشاريات المكانية.....77

1- مؤشرات المكان في المدونة.....81

2- الإشاريات المكانية الظرفية.....88

ثالثا: إشاريات الخطاب.....94

خاتمة.....100

قائمة المصادر والمراجع.....104

الفهرس.....110